

المستوطنة السعيدة

د. أحمد رفيق عوض

المستوطنة السعيدة

د. أحمد رفيق عوض

مسرحية

دار
الجندي
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

٢٠١٣

صدرت عن

دار الجندي للنشر والتوزيع - القدس

٠٠٩٧٢٣٤٠٠٣٥

info@aljundi.biz

www.aljundi.biz

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

المستوطنة السعيدة

د. أحمد رفيق عوض

دار
الجندي
للنشر والتوزيع

obeikandi.com

الإهداء:

إلى السادة: الأمل و الوهم و السلام.

obeikandi.com

المشهد الأول

تفتح الستارة عن ردهة من ردهات فندق الملك داود، تسمع للحظات أصوات مختلطة ما بين الكلام المبهم و الضحك المتخافت، ثم يدخل ثلاثة رجال و امرأة واحدة، و هم في خضم حديث لم ينته، مجموعة الأشخاص هؤلاء هم أعضاء لجنة تقصي الحقائق في أحداث دامية شهدتها قرية كفر صقر القريبة من رام الله قبل شهرين، وهم كالتالي:

روبرت كارل في أواخر الخمسينات من العمر، قاضي متقاعد، عمل في بلاده قاضياً محققاً ثم محاضراً في الجامعة، ثم التحق ببرامج الأمم المتحدة المختلفة، فذهب الى جنوب افريقيا و غانا و النيجر و الجزائر و تيمور الشرقية، ألف عدداً من الكتب القانونية، و هو حفيد الرحالة الأوروبي الشهير ماي كارل الذي كتب عن الشرق العربي دون أن يزوره أو يراه، و أرنولد ريكهارت و هو جنرال متقاعد حارب في افغانستان و العراق

و انتخب بعد تقاعده عن ولايته الجنوبية مرتين قبل ان يلتحق بلجان الأمم المتحدة المتعددة كمراقب و منفذ للسياسات الدولية، حقق شهرة كبيرة من خلال مغامراته العسكرية و مواقفه المتشددة من العالم الثالث، لم يتزوج و عرف عنه الشذوذ رغم انه انكر ذلك عدة مرات في الصحف و قد ساهمت هوليوود في صناعة اسطوره من خلال فيلم عن حياته، و عادة

ما يشير هذا الرجل الى ان اجداده شاركوا في صياغة وثيقة الاستقلال الامريكية، و السير والتر ليفي و هو سياسي عريق، تقلد عدداً من المناصب الحكومية الرفيعة في بلاده، ألف عدداً من الكتب اللامعة في السياسة الدولية، و شارك في صياغة العديد من القوانين الدولية و الفتاوى القانونية ذات الصبغة العالمية، عضو في الكثير من المحافل السياسية و القانونية والإعلامية، و هو وجه اعلامي معروف، و يهاجم عادة من قبل كثير من الاطراف باعتباره واحداً من أكثر المدافعين عن السياسات المحافظة، يحب الموسيقى و الرسم و هو متزوج و لكن زوجته جنت منذ زمن بعيد و هي في مصحة فاخرة بسويسرا، أما ابنته الوحيدة فقد هربت الى مجاهل افريقيا و غيرت اسمها هناك و لا يعرف عنها شيئاً، و خديجة المرزوقي و هي في الأربعينات من عمرها، شغلت منصب وزيرة في بلادها ثم انشقت و ذهبت الى الغرب باعتبارها ناشطة حقوقية ، اسست منظمة تعنى بالحرية في العالم الثالث، و اختيرت في سنة سابقة فائزة في جائزة عالمية رفيعة، اثار ضجة كبيرة عندما دعت الى حق المرأة في الانجاب خارج نطاق مؤسسة الزواج و حرية الانسان في اختيار دينه خاصة اذ كان دينه يدعو الى قتل المخالفين، متزوجة من شخص مجهول- يقال انه غير موجود- و لها عدد من العلاقات التي تحاول ان تخفيها عن الاعلام، فقاطعت اهلها، أو قاطعها أهلها و ذكرت الصحافة المحلية أن والدتها تستعطي الناس تقريباً في مدينتها النائبة. يدخل هؤلاء الاشخاص و يتوزعون على المقاعد في الردهة، ويواصلون ضحكاتهم، فيما يقول روبرت كارل: من الرائع ان السيدة المرزوقي هي أحد أعضاء هذه اللجنة؟! ان ذلك يقربنا من فهم الواقع المعقد هنا!!

خديجة (بما يشبه الاستنكار): لا..لا.. لقد غادرت هذا الواقع منذ زمن بعيد، ادعي إنني لم اعد أعرفه.

والتر ليفي: ولكنك خديجة.. دائماً أنت خديجة.

خديجة(ضاحكة): ولكنه بالفرنسية شيء آخر.

والتر ليفي(مصرأً): هل يتغير الانسان بتغير اسمه؟!

خديجة(متنبهة): اسأل نفسك مستر ليفي..

(ينظر الجميع الى ليفي. يصمت قليلاً.. يشرب من كأسه ببطء)

ليفي: اتفق معك سيدة خديجة ان الإنسان في نهاية الأمر.. اسمه..

كارل: آ.. نحن في الشرق تماماً.. حيث الأسماء أقوى من الواقع..

ريكهارت: دائماً كانت الأسماء أقوى من الواقع.. في الشرق كما في الغرب..

الفرق الوحيد أن الشرق رخو و ضعيف و لا ذاكرة له.. و لهذا عادة ما ينسى أسماءه.

ليفي: مشكلة الشرق أنه لم يلتقط لحظات التحول الكبرى.. لم يقد العالم و لم يطوره.

ريكهارت: هذه هي فكريتي.. الشرق انثى و ليس ذكراً.. انجب الديانات العاطفية و لم يستطع السيطرة على العالم.

خديجة: ارجو تذكيركم ايها السادة ان هذا الأمر لم يكن موضوعنا الأول.

ليفي(ضاحكاً): نعم..نعم.. لم يكن هذا موضوعنا.. كان موضوعنا على ما اذكر هو مغامرات السيدة خديجة في بلدها.. كيف..

خديجة(مقاطعة): دعني اكمل.. كنت أقول انني استطعت الاحتيال على ابنة المفتي الأكبر في العاصمة و دفعتها الى ان تخلع حجابها.. و كانت تلك فضيحة مدوية.. و استطعت بذلك رد الصاع صاعين لأولئك الذين هاجموني في كل مكان.

كارل(بجدية بالغة): ماذا اردت من وراء ذلك.. انه مجرد حجاب في النهاية. خديجة(ضاحكة): خلع الحجاب عندنا يعني الكثير.

ريكهارت(ضاحكاً): اسمحوا لي بهذا التعبير ايها السادة، خلع الحجاب يعني هنا بشكل أو بآخر استعراضاً للمؤخرة.

(يضحك الجميع)

ليفي: استعراض المؤخرات تحول الى فن غربي رفيع.

كارل: و هو كذلك، تدليل الجسد دليل على مطلق الحرية وذروتها.. الجسد مركز العالم، و وسيلة ومصدر فهمه.

خديجة(متراجعة): و لكن الجسد عندنا منحط و مهمل و مقموع.

ليفي: هذه مشكلة الثقافة عندكم.

ريكهارت: اعترف امامكم ايها السادة انني في حيرة من أمري أمام هذه الثقافة التي لا تستطيع ان تركز الى مرجعياتها.

كارل :لا أحد يفهم الشرق.. هذا ما قاله جدي في كتبه كلها.

خديجة: ماذا كتب جدك عن الشرق؟!

كارل: كتب عن رحلاته و أسفاره في المنطقة العربية و الاسلامية.

ليفى: (بما يشبه السخرية): كان جده روائياً أكثر منه مؤرخاً.
كارل: الرحالة دائماً.. روائيون.. ذوو خيال ما.. السفر يغري بالمبالغة بعض الشيء.

ليفى: ولكن جدك كان ذو خيال واسع جداً الى درجة انه اهتم باختلاق الوقائع.

كارل (بقليل من الحدة): من يستطيع ان يحدد الواقع هنا.. هنا كل شيء مخادع كما قال السيد ريكهارت.

خديجة: تماماً.. هذا ما دفعني الى الهرب من بلادي.

ريكهارت: كائنا ما كان الأمر، لا بد من التعامل مع هذه الحالة.. و بهذه المناسبة.. عليّ تذكيركم ايها السادة ان موعد اجتماعنا الأول قد اقترب.. فهاً انتقلنا الى غرفة الاجتماعات.

(يقوم الجميع، و يخرج كل من كارل و ليفى، فيما يتأخر ريكهارت

و خديجة، يمسكها من ذراعها، تلتفت إليه)

ريكهارت: أرجو ان يتسع وقتك لشرب كأس معي على انفراد بعد الاجتماع.

خديجة (بابتسامة راضية و واسعة): علمتك الحرب الهجوم السريع..

ريكهارت: آ.. في الحب و الحرب.. الوقت قيمة حقيقية.

خديجة: و لكني..

المشهد الثاني

تفتح الستارة عن طاولة اجتماعات يجلس إليها عدد من الأشخاص الذكور و الاناث، يظهر عليهم الملل، ثم يدخل اعضاء اللجنة الدولية، يجلس روبرت كارل على رأس الطاولة فيما يجلس الباقون قريباً منه. يفرد روبرت أوراقاً أمامه، يشرب قليلاً من الماء، ينظر حوله، يتنحج، ثم يقول:

كارل: أرحب بكم جميعاً في أول اجتماع مغلق للجنة تقصي الحقائق التي تمثلها، أريد هنا ان انبهكم جميعاً الى عدم تسريب أية أخبار او معلومات أو أية وثائق الى الصحافة أو الجمهور أو الأطراف ذات العلاقة.. و من يفعل ذلك بقصد أو بغير قصد فإنه سيقع تحت طائلة القانون التي تحرمه من امتيازاته الادارية و المالية و القانونية، بالاضافة الى تدمير سيرته المهنية و الشخصية.. الحاضرون هنا، محققون و قانونيون و اداريون و مساعدون في الميدان ينفذون مشيئة المجتمع الدولي المتمثل في هيئة الامم المتحدة من اجل التوصل الى حقائق تساعد في احلال السلام و الامن و الهدوء و تحقيق حرية الانسان افراداً و جماعات، ان هذا الهدف يجعل من الاجهاد الشخصية مجرد شيء بلا قيمة، يجب ان تعرفوا اننا هنا في مكان مضطرب، يعاني من مشاكل عرقية و ثقافية و سياسية، و هو مكان مؤهل للانفجار في كل لحظة، و لن اسمح لنفسي أو لهذه اللجنة ان تساهم و لو بشكل ضئيل في ادامة هذا الصراع أو تأجيجيه أو تعميقه. هذا مكان يعاني من ادعاءات متناقضة و اطروحات متعارضة تمتلك ذات القدر من المصدقية، نحن هنا لا نحاكم أحداً و لا نتهم أحداً و لا نتبنى رواية أحد، لا يهمنا من هو الجلاد او

الضحية، من الظالم أو المظلوم، نحن هنا من اجل مهمة محددة جداً، هناك ادعاءات قدمها الطرف الفلسطيني تشير الى موت عدد من السكان المحليين في قرية تدعى كفر صقر تقع الى الشمال الغربي من مدينة رام الله، يدعي الطرف الفلسطيني الذي يمثله قانونياً جمعية قانونية دولية اخرى ان موت هؤلاء كان بسبب افعال عنيفة نفذها سكان مستوطنة اسرائيلية تدعى كفار صقر محاذية للقرية اياها.

(يبدو الملل أكثر فأكثر على وجوه الحاضرين، بحيث نرى اشارات و ايماءات بين الحاضرين و خاصة بين الذكور و الاناث، و تكرار شرب الماء، و تناول بعض الحلوى و النعناع و التمشط و الهرش..)

كارل(يواصل): و نحن لجنة تقصّ للحقائق و لسنا لجنة تحقيق، و هناك فرق قانوني هام بين الأمرين، ليس فقط من خلال سير اللجنة و طبيعة عملنا و إنما في طبيعة التحقيق ذاته، إذ ليس المطلوب منا ان نحدد من هو الجاني و من هو الضحية، وإنما هو تحديد الظروف التي أدت الى الحادث الذي أشرت إليه في البداية. ان ذلك يعني بقدر او بآخر هو التعرف على كامل الظروف و الأسباب التي قد تؤدي الى مثل هذه الأفعال. (اثناء ذلك كان ارنولد ريكهارت يكتب شيئاً ما ثم يمرره الى خديجة التي قرأت ما كتب فابتسمت ابتسامة عريضة حاولت اخفائها)

كارل(يواصل): غني عن القول ان كل ما يتعلق بعملنا قد تم ترتيبه من الجانبين، الفلسطيني و الاسرائيلي، و ذلك لمدة شهر واحد تقريباً قابلة للزيادة في حالة إرتأت هذه اللجنة ذلك..

(ينظر الى الجميع و يسأل)

كارل: هل من أسئلة؟!

مساعد اداري اول: ما هي اللغة الرسمية التي سيتم اعتمادها؟!

كارل: الانكليزية طبعاً، كل الشهادات و الافادات ستترجم من اللغتين العربية و العبرية الى الانكليزية، و لهذا يضم فريقنا أفضل المترجمين.

مساعد اداري ثاني: و اذا واجهتنا مشاكل لغوية تخص نوع الثقافة السائدة، اقصد التوريات و الجناس و الصور الشعرية، قرأت ان العرب يتحدثون بالصور الشعرية.

كارل(ناظراً الى خديجة التي كانت تبادل ريكهارت النظرات): و لهذا فإن معنا السيدة خديجة و هي خبيرة في هذا النوع من السياق اللغوي. خديجة(مرتبكة): طبعاً، طبعاً سيادة القاضي.

مساعد اداري ثالث: هل المطلوب منا هذه المرة ان نكتب كل شيء؟!

كارل: اكتبوا كل شيء، و لكن اللجنة هي التي ستصوغ التوصية الاخيرة..

محقق اول: هل لنا صلاحية استدعاء الأشخاص ام هذه الصلاحية منقوضة ..

كارل: لا، الحقيقة ان الاسرائيلين رفضوا هذا الطلب، اما الجانب الفلسطيني فقد وافق على هذا تماماً.

محقق ثاني: و هل لنا صلاحية الوصول الى كل مكان يجب ان نصله؟!

كارل: و هذا الطلب أيضاً رفضه الاسرائيليون فلديهم المخاوف الأمنية،

كما تعرف، أما الفلسطينيون فقد قبلوا هذا الطلب.

محقق ثاني: افهم ذلك طبعاً، ولكن هل نستطيع ان نزور مستشفى مثلاً أو مستوطنة أو ثكنات عسكرية بالتنسيق مع الجانب الاسرائيلي.

كارل: لا بد من التنسيق مع الطرف الاسرائيلي في ذلك، كل حالة ظروفها.

محقق ثالث: هل يجب ان نطلع الجانبين على سير عمل اللجنة؟

كارل: هذا من شأن اللجنة و ليس من شأنكم، هنا، حقيقة لا بد من أن اشير الى شيء مهم جداً، و قد تعلمته من تجاربي السابقة في افريقيا،

و هي ان كل لجنة تقصي حقائق أو لجنة تحقيق بين جماعتين متحاربتين، فإن كل طرف سيدعي ان اللجنة لم تنصفه و لم تستمع إليه، و انها انحازت الى الطرف الآخر، مهما حاولت اللجنة ان تكون منصفة و عادلة، اما هنا، في هذه الأرض، و بين هاتين الجماعتين، فإن الامر سيكون أكثر حدة، يجب ان تعرفوا ايها السادة، و هذا الكلام لا اقله عادة، فإن الاسرائيليين و الفلسطينيين جماعتان تجيدان الادعاء و البكاء و العناد. كل طرف منهما يدعي ان الآخر سرقه و اغتصبه و قتله و أزهبه، هذا صراع تاريخي يتجدد الآن بشكل يؤثر على السلم العالمي، هذه اللجنة لن تقيم السلام بينهما.

و هذه ليست مهمتها، لهذا، أرجو عدم التورط العاطفي، أرجو عدم الاقتراب اكثر من الحالات التي ستتعرفون عليها.

والتر ليفي (متدخلاً فجأة): طبعاً السيد كارل يحاول ان يوازن بين الأمور،

و لكنه يعرف بالتأكيد الصلة الخاصة لليهود بهذه الأرض، و ادعاءاتهم القوية ذات المصدقية، على عكس شعوب و جماعات أخرى.. يجب ان

نكون واضحين منذ البداية، سيد كارل، اننا لا نأتي هنا دون معلومات و دون خلفيات.. و إلا كان عملنا يشبه ذلك الكيميائي الذي يعمل في مختبر.. هذا ليس مختبر.. و نحن لسنا كيميائين.

كارل(متراجعاً): لقد ذهبت بعيداً في قراءة و فهم أقوالي يا سيد ليفي، ما قصدته هو القول بعدم التورط العاطفي.

والتر ليفي(في اندفاعه): السؤال هو..التورط العاطفي مع من؟! هذا هو السؤال!؟

كارل(محاولاً الاحتفاظ برباطة جأشه وسيطرته على الجلسة): نعم.. نعم.. هذا السؤال مهم، و لكن اعتقد يا سيدي ان علينا انهاء هذه الجلسة و من ثم الحوار فيما بيننا. كنت أوضح الشروط و الظروف الواجب اعتبارها أثناء العمل، و الجميع منكم كما اعرف لديه خبرة كافية في اعمال لجان مثل هذه..

ريكهارت: هذه لجنة مختلفة من حيث مكانها و طبيعتها و سير عملها..

كارل: و لكنها لجنة مثل كل لجنة اخرى..

والتر ليفي: يجب ان يكون معلوماً للجميع ان هذه اللجنة تشكلت بعد جدل عنيف بين الأطراف المعنية و بين اسرائيل، و انتم تعرفون حساسية الأوضاع و تعرفون بالتأكيد الثمن الأخلاقي المتوجب على هذه اللجنة ان تقدمه و أن تبديه خاصة لاسرائيل التي عادة لا تقبل مثل هذه اللجان.

كارل: نحن نأخذ بعين الاعتبار حساسيات الجميع.

والتر ليفي: ليس الجميع سواء..

المشهد الثالث

«خديجة في غرفتها، تتحرك بطريقة تشبه الرقص، تنظر الى صورتها في المرأة، تصفر، تشرب شيئاً، ترفع شعرها، تنظر الى فستانها.. يطرق الباب، تهرع إليه و تفتحه..»

خديجة: آ..لقد تأخرت..

ريكهارة: انتظرت انسب الأوقات..

خديجة: آ..ماذا تحمل؟!

ريكهارة: هذه ملفات و زجاجة ويسكي فاخرة و جبل.

خديجة: جبل..لماذا الجبل.

ريكهارة: لا تتعجلي المتعة.. أروع ما في المتعة انتظارها.

خديجة: آ..انت تخيفني..

ريكهارة: و انت تسحريني بهذا المعنى الشرقي في وجهك و جسدك..

أغار من جسدك و طعمك و لونك و لهجتك و ثقافتك..أريد ان أذيب كل شيء بين يدي.

خديجة: اراك متعجلاً

ريكهارت: آه يا خديجة..الشرق انثى.. هذه حقيقة أو من بها تماما..انثى حقيقة لا يسبر غورها و لا تدرك..هل تريدان الحقيقة..الشرق علم الغرب كل شيء.. و لكن الغرب حاقد و جاحد و مغرور و متعطر..مثلي تماما..

خديجة: أوه..سيدي الجنرال العظيم..اسطورة هوليوود..أنت لطيف أكثر مما كنت اظن.. اجلس..اجلس هنا..سأجلب لك كأساً.

ريكهارت: عندما رأيتك أول مرة في نيويورك،بوجهك المتوسطي و جسدي الممتلئ و مؤخرتك الكبيرة، قلت لنفسني يا الهي كم هي قريبة و،يا الهي لهذا اللحم الغريب الذي يسلبني كل ذرة من تعقل، لقد شعرت لحظتها بأني ارى مسامات جلدك و استمع الى صوت تنفسك..شعرت انني ادخل الى رئتيك.. و اركض في شرايينك..

خديجة: لا تقل لي انني المرأة الأولى في حياتك او انني الأجل.

ريكهارت: لا..لا..بالتأكيد لا، و لكنك امرأة عربية الى حدٍ مدهل، لا أدري كيف أقول ذلك، هناك نساء عندما نشاهدن لأول مرة نشعر انهن خلقن كما نرغب و كما نحلم، و لا نحتاج معهن الى ان نكون اذكاء او ذوي سطوة او تميز،نساء قريبات الى هذه الدرجة، هذا ليس الحب،بالتأكيد ليس هو الحب، بل هو الراحة و الاحتياج و التفهم و الانكشاف. هناك أشخاص نفعل معهم كل ذلك دون ان نتورط بهذا الذي يسمونه الحب.

خديجة: اشرب كاسك..

ريكهات: هل ادركت كلامي عن لحمك..لحم الغريب هذا..يا الهي كم يسحرني..هل تعرفين..عيون النساء في الشرق تختلف عن عيون النساء في الغرب.

خديجة: كيف ذلك؟!

ريكهات: عيون النساء في الغرب كعيون الذكور،متفحصة وقحة لا انكسار فيها،أما عيون النساء في الشرق ففيها معنى مختلف تماما، فيها حجل أبدي، انكسار غامض،تردد ناعم مثير، خيط ناعم من الشبق العجيب، معنى يحولني الى ذكر تماما.

خديجة: و الآن..

ريكهات(يقوم عن كرسیه، يحضنها، ثم يجلسها على كرسی قريب):
الآن..أريد ان أسعد يدي و عيني و انفي بجسدك الفاتن..(يتناول الحبل)
اريد ان ارى ما لم تقدرى انت على ادراكه داخلك و داخل جسدك(خديجة
تتابعه بقلق)..سأدخلك تجربة لن تنسيها طيلة حياتك أبداً..الجسد عندما
يتحول الى وسيلة وهدف معاً..(يربط ريكهات يدي المرأة و رجليها في
الكرسي) هل جربت ألام اللذة او لذة الالم، هل عرف جسدك ان يجمع
كل ما يخاف منه و يرغب فيه في آن معاً..هل جربت اللذة تحت وطأة
الحزبي و العار،هل جربت مشاعر العذاب طلباً للمغفرة و الحرية..ستدركين
ما لم تكن تعرفينه في جسدك و روحك معاً.سيتحول هذا اللحم الجميل بعد
دقائق الى منجم للأسرار و المتع التي تظهر لأول مرة.

خديجة: ماذا تفعل يا مجنون؟!

ريكهات: ثقي بي.. أنا أعبدك ايتها المرأة.. انت قائدي و دليلي و أطلس روحي.. انتم النساء اللواتي تتحكمن بنا منذ لحظة الولادة حتى لحظة الموت.. انت آلهة أخرى على الأرض.. اصبري و ثقي بي.

خديجة: انت مجنون حقيقي.

ريكهات: هذا صحيح الى حدٍ ما، و خاصة عندما أكون أمام امرأة مثلك، غامضة و مقيدة.

خديجة: لماذا تريدني مقيدة؟!

ريكهات: اسألي نفسك هذا السؤال!!

خديجة: ماذا ستفعل بي؟

ريكهات: بدأت الآن تندمجين مع الجو الذي ارجب ان ندخل به معاً

خديجة: هل تحب.. هل تحب التعذيب.. من أجل..

ريكهات: هذا ليست سادية.. اذا قصدت ذلك.. لقد تعودت ان ارى و اعامل الناس و هم مكبلون.. الانسان المقيد يقول ما لا يقوله الانسان الحر.. هناك فرق في المشاعر و اللغة و اللذة.

خديجة: لا تخيفني.. لهجتك تخيفني..

ريكهات: اسمعي.. لماذا برأيك يبدو كارل ضعيفاً أمام والتر ليفي؟!

خديجة: ربما.. ربما لأن ليفي احد فقهاء القانون الدولي المرموقين في العالم.

ريكهات: ولكن كارل رئيس اللجنة.. ألا تعتقدين أن..

خديجة: ريك.. ريك.. ألا ترى اننا نتحدث في العمل.. وأنا مقيدة وانت تشرب.

ريكهارت: الحوار هكذا أفضل.. دعيني أتأملك و أستمع إليك.. هل بدأ الخدر يتسلل الى ذراعيك الجميلتين..

خديجة: هل تستمتع بالمى.. هل هذا يشعرك باللذة؟!

ريكهارت: دعيني استمتع بالفتازيا خاصتي.. اسمحي لي ان امارس من خلال جسدك متعتي السرية.

خديجة: و هل تعتقد انها سرية؟!

ريكهارت: اللعنة على الصحافة الصفراء في بلادنا.. لا شيء يخفى.. الصحافة عندنا سيف مسلط على رقابنا جميعاً باسم الديمقراطية التي لم نعد نستفيد منها.. الديمقراطية لم تعد لنا بل تحولت الى خدمة المهمشين و المهاجرين و الطوائف و الارهابين.. لا بد من ديمقراطية أخرى..

خديجة: اية ديمقراطية هذه؟!

ريكهارت: ديمقراطية بيضاء خاصة.. ديمقراطية تشبه الأخوية أو النادي السري أو جمعية خفية.. الديمقراطية لا يجب أن تكون للجميع..

خديجة: ريك.. بدأت أفقد أحساسي بذراعي.. أرجوك..

ريكهارت: ما أجملك.. ما أروعك.. هل تعرفين لماذا يسيطر ليفي على كارل..

خديجة: قل لي انت؟!

ريكهارت: لأن الديمقراطية الغربية فقدت أهم شروطها.. لقد أصبحت للجميع.. ليفي يا سيدتي الشرقية الجميلة ليس مجرد فقيه قانوني دولي، انه

المشهد الرابع

«في إحدى قاعات الفندق، مائدة مستطيلة، يدخل عدد من الحراس و المرافقين، ثم يتبعهم رئيس اللجنة روبرت كارل و والتر ليفي، يتبعهما شخصان آخران يرتديان زياً رسمياً.. يجلس الجميع الى المائدة فيما يظل الحراس و المرافقون يحيطون بالمكان.»

كارل: ارحب بكم أيها السادة.. ارحب بك سيد شايرا وكذلك انت سيد محمود، و أرغب في التوضيح لكما ان هذا الاجتماع غير رسمي و غير علني أيضاً، هذا اجتماع للتنسيق و التشاور من اجل تسهيل مهمة اللجنة و تسريع عملها و من أجل تذليل أية عوائق أو أية أمور أخرى قد تعطل المهمة الدولية التي نضطلع بها، و كما تعرفان ايها السادة، فإن من غير اللائق ان نظهر على الملأ لنتهم أحد الطرفين بتعطيل عمل اللجنة.

محمود: باعتباري امثل السلطة الوطنية الفلسطينية فإنني أخبرك بترحبنا البالغ و الحار بكم شخصياً و باللجنة أيضاً، و سنعمل بكل جهد من أجل انجاح مهمتكم باعتبارها مهمة قانونية دولية.

كارل: شكراً لك سيد محمود.

شايرا: و باعتباري امثل دولة اسرائيل أيضاً، فاني أرحب بكم و بعملكم، و سنعمل على توفير ما تحتاجون إليه من اجل المهمة، بما لا يتعارض مع شروط الامن و السلامة الشخصية للأفراد أو المؤسسات الاسرائيلية.

محمود: ماذا تقصد سيد شايرا؟!

شايبيرا: اقصد تماما ما سمعته سيد محمود.

محمود: اذا كان هذا التحقيق...

شايبيرا: ارجو ان تنتبه، هذا ليس تحقيقاً، بل تقصي للحقائق.

محمود: و ما الفرق؟!

ليفني(متدخلاً): اسمحوا لي أيها السادة ان أوضح مسألة هامة و خاصة للسيد ممثل السلطة الفلسطينية، تقصي الحقائق يعني توفير كل عناصر و مكونات و ظروف و ملابسات الحالة التي يراد التعرف عليها من أجل وضع تصور لحلها أو الحكم فيها أو عليها أو رفعها الى محكمة مختصة. بمعنى آخر، تقصي الحقائق لا يعني الحكم عليها أو ادانتها أو محاكمتها أو ترتب أي وضع قانوني ملزم بشأنها. تقصي الحقائق هو العلم بالشيء لا الحكم عليه.

محمود(حائراً): اذن؟!

ليفني: يعني ان ما قاله السيد شايبيرا صحيح وله الحق في ذلك.

محمود(بنوع من الغضب): اذا كان الامر كذلك فلماذا كل هذه الضجة حول لجنة التقصي هذه؟!

كارل: لقد وافقت القيادتان الفلسطينية و الاسرائيلية على طبيعة عمل اللجنة و مجال عملها.

ليفني: نحن أردنا من عقد هذا الاجتماع الطلب اليكما توفير الحماية، و الامكنة المناسبة، و نوعية الأشخاص الذين نلتقيهم.

محمود(مقاطعاً): و الدم الذي سفك في القرية..ان كل شخص في القرية يعلم من كان السبب في مقتلهم.

شابيرا: هذا لا يقدم و لا يؤخر، المهم ان يعرف العالم ذلك أو لا يعرف، الحقيقة تحتاج الى زمان و مكان.

كارل: أرجو ان لا تتسرع سيد محمود في الاتهام..نحن لم نبدأ في العمل.

محمود(بنوع من الغضب): اي تسرع و أي اتهام..هناك اشخاص عزل تم قتلهم بدم بارد، و الفعلة معروفون، هل هذا يحتاج الى نقاش.

ليفى: هذا الذي يحتاج الى نقاش، لماذا جئنا اذن؟

كارل: ارجو ان نعود الى اجندة الاجتماع.نحن نطلب اليكم توفير وسائط نقل مناسبة و حماية كافية و قوائم بالاسماء التي سلتقيها مع معلومات كافية عن كل شخص.

شابيرا: هل لديكم اسماء معينة ترغبون في الاجتماع إليها؟

كارل: سنعلمكم بالاسماء و الشخصيات الرسمية التي نرغب في الالتقاء بها في حينه، و لكننا نطلب منكما توفير اسماء الأشخاص الذين لهم علاقة مباشرة بالحادث، من قرية كفر صقر و مستوطنة كفر صقر.

شابيرا: ارجو من السيد كارل ان يلتزم الحياد المطلق في مصطلحاته، اذ ان كفر صقر هي قرية يهودية في ارض اسرائيل مثلها مثل نهاريا و نتانيا. ارجو ان يتخلص من مصطلح مستوطنة الذي يفضل الجانب الفلسطيني استخدامه للدلالة على عدم شرعيتها.

كارل(ينظر الى ليفي أولاً): انا التزم الحياد تماماً سيد شابيرا، و لكن اراضي الضفة الغربية التي احتلت عام ١٩٦٧ هي محتلة حسب القانون الدولي و حسب قرار ٢٤٢ و ٣٣٨.

ليفي: من الصعوبة البت في هذا الأمر بشكل نهائي،اذ ان هذه الأراضي لم تكن تخص احدا في العام ١٩٦٧، اما التواجد الاردني فقد كان غير شرعي أيضاً، اذ ان المجتمع الدولي لم يعترف بهذا الوجود،وعليه، فإن اسرائيل أخذت أرضاً بدون سيادة.

كارل: و لكن سيد ليفي..

ليفي(يستمر دون ان يلتفت): هذه اراضٍ متنازع عليها، و بالتالي فهي بحاجة الى تسوية من نوع ما، و لذلك انا اقترح ان لا نسمي أو نطلق مصطلحات من اي نوع، او مصطلحات قد يشتم منها او يفهم منها رائحة موقف سياسي محدد.

كارل(مستسلماً): اقتراح مقبول

محمود(بنوع من الغضب): و لكن كفار صقر بالذات اقيمت على ارضٍ خاصة تمت مصادرتها عام ٢٠٠٤.

شابيرا: و لكن شخصا من اصحاب هذه الأراضي لم يتقدم الى محكمة اسرائيلية للمطالبة بها.

محمود(بغضب): لم يسبق لمحكمة اسرائيلية ان حكمت لاصحاب الاراضي المصادرة باعادتها لهم.

شابيرا: السبب-برأيي- يعود الى هؤلاء الناس الذين لم يقدموا الورق

الصحيح و المناسب..انت تعرف،اسرائيل دولة وثائق.

محمود: يعني هذا أن كل المستوطنات الاسرائيلية على الأرض الفلسطينية كانت قانونية..هل هذا ما تريد قوله؟!

شابيرا: في معظمها، و غير الشرعي منها محل جدل هائل في الكنيست و المحكمة العليا.

ليفي: اسمحو لي بهذه الملاحظة التي ارجو ان لا يفهم منها انخياز،ولكن القضاء الاسرائيلي اثبت دائماً انه محل ثقة.

محمود(بغضب): الا تعتبر هذا تحيزاً سيد ليفي.

ليفي: العكس تماماً، اسرائيل تدرج دائماً في قوائم الدول الديمقراطية التي تحترم حقوق الانسان، و هذا ثابت دولياً،انا هنا اشير الى حقيقة دولية يا سيد محمود.

كارل: ارجوكم ايها السادة، نحن ابتعدنا كثيراً عن جدول الاعمال لهذا الاجتماع.. و حتى لا نطيل هذا الاجتماع،فإني اقدم لكم باسم اللجنة الدولية قوائم بالمهمات اللوجستية المطلوب توفيرها،هذا بالاضافة الى الطلب اليكم الحفاظ على سرية الجلسات و عدم تسريبها.

شابيرا: لي سؤال أخير

كارل: تفضل.

شابيرا: هناك جهة قانونية دولية تمثل الطرف الفلسطيني، انا اطلب ان يتم ابعاد هذه الجهة عن اللجنة و عملها و افرادها و طريقة ادارتها للمناقشات و كذلك منع تدخلها في اية صياغة نهائية لعمل اللجنة.

المشهد الخامس

«أعضاء اللجنة على تلة مرتفعة تطل على قرية كفر صقر و بجوارها
مستوطنة كفر صقر، شايبيرا يشرح..»

شايبيرا: سكان كفر صقر في معظمهم من الولايات المتحدة الأمريكية، لقد اختاروا لأنفسهم حياة جديدة، بعيدة عن العالم المعاصر، انهم يريدون ان يعيشوا كما امرهم الكتاب المقدس، فهم يأكلون ما يزرعون و يربون الدجاج و الماعز و يزرعون الأزهار التي جلبوها معهم من هناك. لقد تركوا الغرب لانهم يشعرون بالخيبة و اليأس من هذا الغرب. و عندما اختاروا هذه البقعة من ارض يهودا و السامرة حققوا ما ارادوا، فهنا، على كفر صقر، اقام يهودا المكابي القائد اليهودي الكبير، أول معسكر لقواته التي قاتل بها المحتل اليوناني، و على أرض كفر صقر، تجمعت كل قبائل اليهود للمطالبة بالحرية، و اذا نظرتم الى الجنوب الغربي، سترون مدينة مودييعين و هي مسقط رأس يهودا، و كما ترون، فإن اختيار كفر صقر للتمرد و الثورة كان اختيار موفقاً، فهي على رأس تلة عالية تشرف على كل الطرق التي كانت ذات يوم بين اورشليم و اشكلون.

ليفي: من الواضح ان يهودا المكابي كان صاحب رؤية عسكرية نافذة، موقع كفر صقر حتى اليوم يعتبر ذو أفضلية.

خديجة: فلماذا اذن تسمى القرية العربية بذات الاسم؛ كفر صقر، الا ترون ان ليس هناك من فروق حتى في اللفظ.

شابيرا: البدو عادة ما ينون خيامهم على جنبات الوادي أو السفوح الواطئة، و لا يختارون القمم العالية، و يبدو ان اسم كفار صقر انحدر منذ ايام يهودا المكابي و ظل متداولاً حتى التقطه البدو.

كارل: و ما هي دلالة كفار صقر سيد شابيرا؟!

شابيرا: كفار باللغة العبرية هي القرية اما كلمة صقر فتعني التغطية باللون الأحمر، و هذا يدل على ان اشتباكاً عظيماً وقع بين يهودا و قوات اليونان، و هذا ما يذكره عدد من المؤرخين اليهود.الثقات، و بالتالي يكون اسم كفار صقر القرية التي غطيت باللون الاحمر، و لهذا فإن علم القرية هو اللون الأحمر.

خديجة: و لكن صقر بالعربية يعني ذلك الطائر الجارح أو هو احد أنواع النسور التي تعيش هنا في المنطقة.

كارل: هل هذا صحيح سيد شابيرا؟!

شابيرا: لتسمح لي السيدة خديجة، فكلمة صقر بالعربية تعني الكثير و من معانيها الضرب و الشدة و الكسر، اي انها قريبة من معنى الاشتباك و المواجهة، و هناك معنى للصقر

في العربية يفيد لون النار و كل هذه المعاني تفيد او تشير الى ما جرى ذات يوم هنا على هذا الأرض بين يهودا و اليونانيين.

خديجة(مراجعة): انت ادرى، انت ابن المكان.

كارل: من الواضح انه كذلك يا سيدة خديجة.

شابيرا: لقد احتفظ البدو بالعديد من اسماء المدن و القرى اليهودية كما هي تقريباً.

ليفي: هناك نظرية تقول ان السكان المحليين هنا هم من نسل اليهود القدامى و لكنهم اضطروا الى ان يسلموا او يتنصروا بسبب الضغط أو الحاجة.

شابيرا: هذا صحيح الى حد كبير، و قد اثبتت الدراسات الانثروبولوجية ان جزءاً كبيراً من البدو و الفلاحين لهم ذات الصفات و الجينات و اللهجات و حتى الملابس.

كارل: مثير للاهتمام..هل تعتقد ذلك سيد شابيرا.

شابيرا: اكثر من ذلك،هناك حزب صغير جداً اغلبيته من المثقفين اليهود يدعى حزب الكنعانية ،و يرى هذا الحزب ان لا شيء يفصل بين اليهود و الفلسطينيين الحاليين سوى تغيير الاسماء، اذ ان الشعبين يعودان لذات الجذور.

ريكهارت: و هكذا يستطيع الجميع حل الصراع بعيداً عن اية لجنة دولية.

كارل: فكرة جديدة للاهتمام، فهل تعتقد سيد شابيرا ان ما يشاع حول مشروع الدولة الواحدة هي طبعة منقحة من فكرة الكنعانية هذه.

شابيرا: ربما، و لكن فكرة الدولة الواحدة فكرة سياسية، اما الكنعانية فهي فكرة ثقافية.

ريكهارت: فماذا عن قرية كفر صقر؟

شابيرا: كما ترون،فهي قرية عربية تقليدية، انتم ترون بيوتها القديمة و طرقها الضيقة و انعدام مصادر الماء فيها، و قد قام مختار كفار صقر بتقسيم

اقترح لاهل القرية يتمثل في مشاركتهم بالبر الارتوازي الذي يغذي القرية اليهودية،و لكنهم رفضوا.

كارل: لماذا؟!

شابيرا: يقولون انهم لا يريدون ان يشربوا من ذات البر الذي يشرب منه اليهود،قالوا انهم لا يستطيعون ان يتقاسموا مع الكفار ذات الماء.

خديجة: فمن اين يشرب هؤلاء؟!

شابيرا: انهم يحفرون اباراً بدائية، يملؤها بالماء الذي يجلبونه بصهاريج يشترونها من آبار اخرى.

ريكهارت: هذا يعني أن ليس لديهم مياه جارية.

شابيرا: كانت لديهم شبكة مياه جارية و لكنها توقفت.

كارل: لماذا؟!

شابيرا: عندما حفر السكان في قرية كفار صقر بئرهم الارتوازي،خشي هؤلاء انه يؤثر على جيرانهم العرب،فطلبوا منهم المشاركة و لكنهم رفضوا،و لهذا فقد تأثرت حصص القرية العربية.

ريكهارت: هذا يعني سيد شابيرا ان السكان المحليين اضرخوا بانفسهم بعدم المشاركة.

شابيرا: تماماً.أكثر من ذلك،طلب سكان قرية كفار صقر من جيرانهم العرب مشاركتهم في زراعة اناوع جديدة من العنب و التفاح و لكنهم رفضوا أيضاً.

خديجة: فلمن كروم التفاح و العنب هذه..انها واسعة و رائعة.

شابيروا: هذه نتائج العمل اليهودي، و هذه أصناف جديدة من العنب و التفاح. أصناف تم استخدامها في المركز الجامعي المتطور في كفار صقر.

ريكهارت: هل هناك مركز جامعي في القرية؟!

شابيروا: نعم، و هو مركز متقدم في ابحاث الزراعة و البيئة، و له علاقات وثيقة مع جامعة اميركية مشهورة، و يعمل في هذا المركز خمسة علماء من اميركا و روسيا و فرنسا، و قد استطاع هذا المركز تطوير حشرات قادرة على القضاء على حشرات اخرى ضارة، كما استطاع ان يقدم صيغاً متقدمة في التغلب على الجفاف و الغذاء المعدل و الطاقة البديلة. الحقيقة ان قرية كفار صقر أسهمت كثيراً في مجال تكنولوجيا التغذية و الطاقة.

ليفي: اعتقد ان يهودا المكابي سيكون مرتاحاً في قبره لو رأى احفاده و انجازاتهم.. اشعر في هذه اللحظة بالفخر، و كأني أحد محاربي يهودا في انتظار اليونانيين.. (يتحرك و كأنه يرقص)

كارل (بحذر): ولكن.. لو سمحت لي سيد شابيروا.. الا تعتقد ان التوسع العمراني و الزراعي المذهل لكفار صقر سيؤثر بالتأكيد على نوعية الحياة في قرية كفر صقر.

شابيروا: لقد حاولنا بكل السبل ان نقنع السكان المحليين في القرية بضرورة التعاون و التشارك من اجل جودة البيئة ولكنهم رفضوا ذلك، و لو قارنا بين انتاج الأرض التي كانت بين أيديهم و انتاجها و هي تحت ايدينا لأدركت ان كفار صقر هي خير عميم على المنطقة كلها، الى درجة ان السكان المحليين انفسهم تركوا أراضيهم و أخذوا يعملون في اراضي كفار صقر.

المشهد السادس

«في المجلس البلدي لقرية كفر صقر، ابو سليمان رئيس البلدية يتحدث من خلال هاتفه النقال، حوله عدد من أعضاء المجلس..»

أبو سليمان: نعم..نعم يا استاذ محمود..اذا وصلت الى بوابة المستوطنة.. ادخل..لا تخف..ان طريق قريتنا يمر من هناك..نعم..نعم. قل لحارس البوابة..تكلم معه بالعربية أو الروسية..نعم هو روسي..قل له انك تريد الوصول الى كفر صقر..سيدخلك..نعم الجميع بانتظارك..سأنتظر..نعم تحدث معه..(يتوجه الى الحاضرين)..انه يتحدث مع حارس البوابة الروسي.. الجميع(بصوت واحد): بافلوف..لعنة الله عليه..

أبو أحمد: يوم أمس،رفض ان يدخلني حتى دخلت صلاة العشاء أبو سليمان: اهدأوا يا جماعة..آ يا استاذ محمود..هل أدخلك..الحمد لله.. هذا رضى والدين..عادة ما يرفض هذا الحارس ادخالنا من أول مرة..الحمد لله على السلامة..الآن سر في اتجاه مستقيم،لا تذهب يمينا أو يساراً..حتى تخرج من المستوطنة.. و القرية الأولى التي تواجهك هي قريتنا..المستوطنة فوق الجبل نحن على سفحه..نعم..ماذا أقول لك..لا حول و لا قوة الا بالله.. نعم..نحن بانتظارك..

(أبو سليمان يغلق الهاتف،و يقذف به على الطاولة،يواجه المجتمعين)

أبو سليمان: كما قلت لكم يا اخوان، هذا هو الاستاذ محمود من وزارة الشؤون المدنية، وهو يأتي لنشكل بالتعاون معه لجنة من القرية للتواصل مع

اللجنة الدولية..

أبو خالد: كما قلت لك يا أبو سليمان.. يجب ان تضم اللجنة جميع حمائل القرية بلا استثناء.

أبو محمد: تفضلوا اسمعوا، هذه لجنة دولية و ليست لجنة توزيع معونات.. نريد لجنة تبيض الوجه.

أبو سليمان: يا جماعة.. نريد لجنة لها علاقة بما حصل.

أبو خالد: ما حصل أصاب أبناء القرية جميعاً.

أبو عيسى: لجنة تضم أعضاء يتحدثون الانكليزية.

أبو سليمان: و ما دخل اللغة الانكليزية؟!

أبو عيسى: حتى يستطيعون الفهم و الترجمة.

أبو محمد: يا جماعة، نريد لجنة تنسق بين شهود العيان، وتستطيع تقديم رواية واحدة و غير متناقضة، يعني ارغب في لجنة تستطيع ان تضبط الكلام كله.

أبو خالد: ما هذا الكلام.. شهود العيان ليس عندهم سوى حكاية واحدة.. و هي ما حصل بالضبط.. المستوطنون اطلقوا النار عشوائياً على ابنائنا.

أبو محمد: هل انت متأكد من كلامك؟!

أبو خالد: ما شاء الله عليك.. و هل عندك قصة غير هذه.

أبو محمد: اسمعوني يا جماعة.. هذه لجنة دولية و ليست مجرد احاديث على القهوة.

أبو سليمان: و أنت يا أبو وليد، انت عقيد متقاعد، بالتأكيد لك تجارب سابقة.

(أبو الوليد العقيد المتقاعد، يضع على بدلته السوداء عباءة مذهبة، يدخن غيلونة، تنحنح و مد عنقه قبل ان يتكلم..»

أبو الوليد: نعم.. نعم.. سبق و ان كنا في لبنان، و كان ان اشتبكنا مع القوات الانعزالية و قد كنت يومها..

أبو محمد (هامساً): بدأنا.

أبو خالد (بما يشبه الابتسام): حبيبي يا أبو الوليد، كل الاحترام للدوشكا الذي كنت تلعب به كما تلعب بالدمية، و لكننا الآن بصدد الحديث عن اللجنة.

أبو الوليد (غاضباً): انتم الذين وجهتم السؤال لي.. انا لم أكن أرغب في الكلام، أنا رجل عسكري.. انا عقيد.. حاربت في لبنان و الأغوار.. و هذا جرح عميق في ساقي يقول لك من أنا.

أبو سليمان: حبيبي يا أبو الوليد.. انت على الرأس و العين.. انت أكبر محارب في الدنيا.. و أبو خالد انت تعرفه.. بصلته محروقة.. الصحيح ان كل شيء فيه محروق.

أبو خالد: لا، لست محروقاً و انا أكره البصل.. و لكن العقيد عودنا طيلة جلساتنا في المجلس القروي على قصصه القديمة التي لا نعرف.. لا نعرف..

أبو محمد: صلي على النبي يا أبو خالد.. العقيد كان من أبناء الثورة.

أبو الوليد: و الله عال.. صار من لم يحمل سلاحاً طيلة حياته يتحدث و

يفتي و يصول و يحول..

أبو خالد: لم يكن من الأنسب لك ان لا تلقي سلاحك.. فلا تضطر ان تسمعني و تسمع غيري

أبو محمد: يا جماعة.. هذا حديث لا مكان له الآن.. رجاء.. دعونا نعود الى موضوعنا

أبو خالد: موضوعنا سلاح العقيد الذي صار ذكريات..

أبو الوليد: انت تعرف لماذا سقط وكيف سقط؟!

أبو محمد: خلص.. كل شيء سقط.. والحمد لله.. افرحوا جميعاً

أبو سليمان: بحق الله.. هل توجب علينا هذا الحوار في كل مرة نجتمع فيها هنا.

أبو الوليد: ما كنت أرغب ان أكون هنا لولا ان هذا المجلس تم تعيينه من وزارة الحكم المحلي و لم ينتخب.

أبو خالد: هذا يدل على وجهة نظري الصحيحة، لو أن حمائل البلد هي التي انتخبت هذا المجلس لكان أكثر نجاحاً.

أبو سليمان: أرجوكم يا اخوان.. تم التعيين لنا جميعاً، أرجوكم بدون مزائدات.

أبو عيسى: اين الاستاذ محمود يا جماعة.

(يدخل محمود و هو ينفخ)

محمود: السلام عليكم.. ما هذا يا جماعة.. هل تصلون الى قريتكم هكذا.. من قلب المستوطنة

أبو سليمان (بما يشبه الضحك): اذن..تعرفت الى بافلوف

محمود: بافلوف..هل هذا اسمه؟!

ابو عيسى: هل طلب منك حشيشاً أو زيت زيتون.

محمود: لم يطلب شيئاً و لكنه أخافني فعلاً..عملاق أصلع اشبه بديناصور منقرض.

أبو محمد: لم ينقرض هذا اطلاقاً..و لكنه يتحكم في الطريق.

أبو سليمان: لقد وعدنا بان يشق طريق جديد بعيد عن المستوطنة،و قد وعدت حكومة النرويج بتمويله.

أبو محمد: النرويج التي تشق الطرق كلها و تمولها أيضاً.

محمود: و لماذا استولت المستوطنة على طريق قريتك.

ابو محمد: قالوا ان قمة الجبل شهدت موقعة عظيمة بين احد قادتهم القدماء و يدعى يهودا و بين الرومان أو اليونان و انهم وجدوا آثار قلعة أو معبداً أو حجراً ما يقول ذلك.

أبو خالد: و لكنهم أضافوا أيضاً ان قمة الجبل لا صاحب لها..هاهاها..و لما قلنا لهم انما تخص اهالي القرية و ان هناك طابو في ذلك..ردوا علينا ان بإمكاننا الذهاب الى المحكمة،و لما ذهبنا الى المحكمة و بعد جهد جهيد و مال كثير و ورق أكثر،قرر القاضي أن كل أوراقنا لا قيمة لها، و ان الجبل مهم للأمن،فلما قلنا له أي أمن، رد القاضي بان الأمن عام و هو للجميع. و هكذا اقيمت المستوطنة بقرار من المحكمة الاسرائيلية العليا، بالصدفة كانت عليا جداً.

المشهد السابع

«في المجلس البلدي، نفس الأشخاص، أبو الوليد ما يزال في نوبة البكاء.. و الكل منشغل به..»

أبو الوليد(من خلال بكائه): يا الهي..يا الله..أرى الآن..الآن الآن..أرى رفاقي في معركة الكرامة..نعم و الله العظيم..جاء أبو عمار مساءً، ربت على كتفي و سألني عن احوالي..ما زلت اراه..

أبو سليمان: حبيبي يا أبو الوليد.. و لا يهتمك..اهدأ..ارجوك اهدأ.

أبو الوليد: كيف اهدأ..و لماذا اهدأ اصلاً..أنا لا أريد ان اهدأ.

محمود(همساً): هل..هل يعاني عادة من مثل هذه النوبات

أبو محمد(همساً): هذه هي المرة الأولى بهذا الشكل الحاد.

محمود: اذن..لماذا لا تاخذوه الى منزله.

ابو محمد: عائلته ليست هنا..انه يعيش وحيداً

محمود: فأين عائلته؟

أبو محمد: أولاده منعوا من دخول الوطن، و زوجته ماتت.

محمود: لماذا منع أولاده من الدخول؟

أبو محمد: سمح الاحتلال بعودته وحده أما أولاده فلا.. يقال أنهم كانوا مقاتلين أشداء.. و يقال أنهم الآن في أوروبا أو اميركا اللاتينية لا يجدون قوت يومهم

أبو الوليد: أنا هادئ..انا هادئ..لا تخافوا..بافلوف..آخر الأمر..بافلوف،يا حيف على الرجال..يا خسارة التجارة..يا لعنة الأيام..الى هنا.. الى هنا وصلنا يا أبو سليمان.

محمود: يا جماعة..ليس عندي وقت، أرجوكم، جددوا حلاً للمسألة.

أبو خالد: تعال معي يا أبو الوليد الى المقهى، سندخن أرجيلة و نرتاح قليلاً،(يأخذه من ذراعه، فيقوم هذا دون مقاومة، يعود الباقون للجلوس حول المائدة، يصمتون قليلاً..)

محمود: منذ ان احيل على التقاعد و جاء الى هذه القرية ليسكن قريباً من بعض اقاربه و هو يعيش حالة أقرب الى الذمول.

محمود: ربما بسبب التقاعد.

أبو محمد: لا، كان سعيداً عندما تقاعد، و لكنه..لا ادري.. لقد فقد القدرة على النوم..صار يمشي في أزقة القرية ليلاً، صار يجمع بذور النباتات، و يضع الأفخاخ الحديدية..لا أدري.. و عندما اختاروه ليكون عضواً في المجلس القروي..فقد رغبته في الكلام..و اذا سأله او استشرناه..كان يرد عادة بالقول: لقد تكلمنا بما فيه الكفاية.

محمود: لا حول و لا قوة الا بالله..طيب..اسمحوا لي يا جماعة،انا مضطر ان اغادر بسرعة،ولهذا،ارجوكم ان تحددوا لي لجنة من القرية تنسق العلاقة مع محققي اللجنة الدولية.

ابو سليمان: و ماذا تقترح علينا يا استاذ محمود.

(يعود ابو خالد و هو يضرب كفاً بكف)

ابو سليمان: ماذا حدث يا ابو خالد.

ابو خالد: ما ان خرجنا من الباب الخارجي، حتى تركني أبو الوليد،و اخذ يركض باتجاه المستوطنة،صعد السفح..اخذت اناذي عليه و لكنه لم يستمع..طلبت من بعض الشباب اللحاق به،و لكنهم فقدوا أثره.

ابو سليمان: اخشى ان يصيبه مكروه اذا اقترب من المستوطنة.

أبو خالد: ماذا نفعل يا ابو سليمان؟

ابو سليمان(محتاراً): لا أدري و الله!

محمود: اتصل بمختار المستوطنة.

ابو سليمان(بما يشبه السخرية): هذا الحقير قطع الاتصال منذ ان وقعت المذبحة.

محمود: ذبحونا و قطعوا الاتصال.

ابو سليمان: انكروا المذبحة و قالوا انها مجرد مشاجرة، و هم يقترحون صلحة على الطريقة العربية.

محمود(ضاحكاً): صلحة عربية!!

أبو سليمان: انت تضحك، و لكن هذا صحيح، و قالوا انهم مستعدون لدفع الدية، و ان تأتي عائلات القتلة من تل أبيب و الخضيره و فرنسا و اميركا لتقسيم واجب العزاء و عقد راية الصلح..الم تسمع بهذا؟!

محمود(ضاحكاً): هذه هي اول مرة أسمع بهذا !!

أبو محمد: و بعد ان رفضنا، و تقدمت السلطة الفلسطينية بشكوى دولية،قطعوا الاتصال بنا،و قطعوا الطريق علينا لمدة شهر، ثم اعادوا فتحها قبل أسبوع ربما بسبب مجيء اللجنة الدولية.

أبو خالد: و ماذا بشأن أبو الوليد يا جماعة.

أبو سليمان(حائراً): دعونا ننتظر قليلاً.

أبو محمد: الظلام يحل قريباً،و سيكون من الخطر جداً الاقتراب من المستوطنة.

محمود: لا تقلقوا، أبو الوليد رجل عاقل و هو محارب قديم، يا جماعة.. ارجوكم دعوني اغادر، تعالوا بنا ننهي هذه المسألة..ماذا تقترحون من اجل اللجنة.

أبو خالد: كما قلت منذ البداية..نشكل لجنة من كافة حمائل القرية.

محمود: و هل سيكون أعضاؤها ممن شاهدوا أو اشتركوا فيما جرى؟

أبو خالد: بالتأكيد.

أبو محمد: ألن تزودونا بنصائح من عندكم يا استاذ محمود.. اقصد،محامين،صحافيين،ضباط امن..

محمود: لا تقلق من هذه الناحية..و لكن.. طلبت اللجنة الدولية السريّة..و..و

أبو سليمان: هل تعتقد ان لجنة من حمائل القرية مفيدة.

محمود: المهم ان تختاروا و تتفقوا..هذا هو المهم..هل يمكنكم تزويدي بأسماء معينة.

أبو خالد: الآن..

محمود: نعم.

أبو خالد: لا يا أستاذ محمود.. سنحتاج الى عقد اجتماع مع كل الحمائل و شرح الأمر لهم و من ثم ستقوم كل حمولة باختيار مرشحها من أجل تشكيل اللجنة.

محمود(بضيق): و لكننا لا نريد لجنة لتمثلنا في مجلس الامن.

أبو خالد: حتى ولو..يجب ان نأخذ رأي الحمائل.

أبو محمد: الحمائل فوق الدولة.

أبو خالد(بما يشبه الغضب): لتحضر الدولة حتى تذهب العشائر.

أبو محمد: الحمائل هي التي تأتي بالدولة..حتى حمائلنا فشلت في ذلك.

أبو سليمان: أرجوكم..دعونا من هذا..ما رأيك يا أستاذ محمود..هل يمكنك الانتظار.

محمود: طيب، كم ستأخذون من الوقت لجمع الحمائل و اختيار المرشحين.

أبو خالد: اسبوع على الأقل

المشهد الثامن

«أعضاء اللجنة الدولية مجتمعون في احدى قاعات الفندق، تدخل خديجة و هي تحمل زجاجة عرق..»

ريكهارت: آ..مفاجأتك رائعة..ما هذه؟!

خديجة: زجاجة مشروب محلي يسمونه العرق.. و يعني بالانكليزية و الفرنسية العرق البشري.

ريكهارت: واو..رائع،و ما وجه الشبه؟!

خديجة: لأن هذا المشروب يتكثف قطرة قطرة تماما كعرق الانسان.

كارل(بلهجة ذات مغزى): و هل هو قوي؟

خديجة: قال لي موظف الفندق انه من أقوى انواع المشروب

كارل(بذات الأسلوب): ارجو ان لا تشملا.. انت و ريكهارت..

ريكهارت: ماذا تقصد؟!

كارل: الحذر يفيد دائماً.

ليفي: صراخك يصل في بعض الأحيان الى النزلاء حول البركة.

خديجة(متوجهة الى ريكهارت): لقد حذرتك.

ريكهارت: انا أمريكي حقيقي..لقد شارك اجدادي في المعارك الكبرى من أجل حقوق الانسان.

ليفى: حقوق الانسان مصطلح معقد..

ريكهارت: الانسان هو المقصود بوثائق جنيف المتعلقة بحقوقه.

ليفى: يجب أن نعرف الانسان المقصود و الحقوق المقصودة..القوانين يا سيدى تحتاج الى امكنة مناسبة و ازمة مناسبة و احوال مناسبة لتطبيقها، فإذا غاب عنصر من هذه العناصر اختل المفهوم و أصبح معقداً.

كارل: هايت مشروبك يا خديجة لنجربه.

ليفى: و كأنك لا تريد ان تستمع الى سيد روبرت كارل.

كارل(باضطراب): لا، لا أقصد، و لكني أرغب حقاً بتجربة المشروب المحلي، فكما تعلم، اضطررنا الى تأجيل موعد التحقيق بسبب حادثة اقتحام المستوطنة.

ليفى: هذا يدعم وجهة نظري..

كارل: ثم ان من المناسب توجيه النصح لزملائنا الجامحين، لأن الصحافة هنا كثيرة و تحسب كل شيء.

ليفى: خاصة و ان الصحف لم تترك السيدة خديجة أبداً.

خديجة: و لم تفرك أيضا سيد ليفى..تكتب الصحف عن تحرري فيما تكتب عن تشددك..

ريكهارت: أما أنا فأني محظوظ جداً في الصحافة..أنا الشجاع المغامر.. أليس كذلك سيدة خديجة.

خديجة: لوكانت الصحافة دقيقة لوصفتك بشيء آخر.

ليفى: ما هو؟!

خديجة (مترجمة): لا، سيد ريكهارت رجل متعدد المواهب.

ليفى (بلهجة ذات مغزى): و لكنه يتابع و يدقق كثيراً.

خديجة (بحذر): ألسنا أعضاء متساوين في لجنة تقصي الحقائق.

ريكهارت: لماذا تدقق في هذا سيد ليفى.

(خديجة توزع كؤوس الشراب)

كارل: ماذا تقترحون ايها السادة لقضاء اليومين القادمين؟!

ريكهارت: أنا و خديجة لدينا برنامجنا المزدحم.. الغوص في مياه البحر الاحمر الدافئة الصافية.

ليفى: انا.. سأذهب الى كفار صقر..

كارل: ولكن ذلك قد يفسر بطريقة.. اسمح لي.. قد يفسر ذلك.. انخيازاً..

ليفى: لماذا..

كارل: حركتنا محسوبة.. ولا نريد ان نعطي أي انطباع.. انت تعرف الحساسيات هنا.

ليفى: اعرف ذلك تماماً.. و لكن، كان يجب ان أقول ذلك منذ وصولنا.. انا

لدي دعوة لزيارة البلدة.. و تناول طعام الغداء هناك.. اعتقد ان ذلك مفيد

لنا جميعاً.. اذ ان ذلك يسمح لي برؤية طبيعة الصراع على الأرض.

كارل: ارى ان هذا.. اسمح لي.. خطوة لا تخدم اهدافنا..

ليفى: ما هي اهدافنا؟!

كارل: انت تعرف اهدافنا.

ليفى: انتهى اذن..انا أحقق اهداف اللجنة.

كارل: ساضطر الى زيارة القرية الفلسطينية اذن.

ليفى: انت حرّ.

كارل: لا أريد صحافة أو تصريحات أو مواقف.

ليفى: لك هذا.

كارل: بعد مقتل الفلسطيني بالقرب من سياج المستوطنة، فإن الامر تأزم كثيراً، و أصبحت مهمتنا أكثر اهمية.

ليفى: هذا يدل على حجم الادعاءات، و يعزز نظرتي حول طبيعة و شكل حقوق الانسان و ضرورة تقنينها.

خديجة: سيد ليفى..هذه نظرتك العالمية الأشهر..أليس كذلك؟!

ليفى: طبعاً،تقوم نظرتي على ذلك تماماً، الغرب هو الذي وضع القوانين و هو الأقدر على تفسيرها من جهة و تطبيقها من جهة اخرى، و لهذا فإن حقوق الانسان باعتبارها نتاجاً غريباً فإنها خاضعة للظروف و الملبسات ليس إلا، ككل قانون في الواقع.

خديجة: يعني...

ليفى: يعني باختصار،حقوق الانسان ليست استحقاق بل هي هدايا تعطى في الوقت المناسب و الوضع المناسب..خذوا مثلاً ما حدث يوم

امس، كان الفلسطينيون على علم بأننا هنا لتقصي الحقائق، و رغم ذلك بعثوا برجل عسكري يحمل رتبة عقيد و معه سكين كبير و ولاعه ليقتحم البلدة الاسرائيلية، و من أجل تقليل ما حدث فقد ادعوا ان الرجل مختل عقلياً، كان لا بد من قتل الرجل قبل دخول البلدة لان رجلاً مثله، بخبراته العسكرية قد يرتكب مذبحة، ولو ارتكب تلك المذبحة لشعر الفلسطينيون انهم انتقموا لقتلهم، أي انهم يسعون الى المساواة مرتين، الأولى في الفعل و الثانية في ردة الفعل. و هذا لا يجوز.

ريكهارت: بالله عليك ان تعيد ما قلت حتى أفهم..ماذا تقصد بذلك؟!

ليفني: ارسال عقيد الى المستوطنة يعني ان الفلسطينيين يريدون ان يساواو دمهم بدماء اليهود.

ريكهارت: ثم..

ليفني: ولكن الفلسطينيين يدعون انهم يريدون العدل..أليس كذلك؟!

ريكهارت: هذا ادعاؤهم..فماذا تقول؟!

ليفني: هذا خطأ فادح برأيي، اما المساواة بالدم أو العدل.لا يمكنهم الحصول على الأمرين معاً.انهم يبحثون عن المطلق، و لا مطلق في هذه الدنيا، على الفلسطينيين ان يقبلوا بالنسبي اذا ارادوا ان يحققوا شيئاً.

كارل(بحذر): و اذا طلبوا المساواة بالدم.

ليفني: يخسرون بالتأكيد..سيدة خديجة، شراب العرق هذا رديء.

ريكهارت: بالعكس انه لاذع و حريف و يدغدغ الحواس.

كارل(و كأنه وجد ما ينقذه): لقد تحدث جدي في رواياته عن أشربة الأمم

التي زارها،و تحدث عنها كذواقة، هذا العرق..ماذا أقول..أنه مثل جسد

آخر يلتصق بك..فيه قوة و عنف و سلاسة..عجيب ان يجتمع كل

المستوى السبعة -

خديجة: الشرق.. هذا الشرق.

ریکھارت: لماذا يقتل الناس هنا كثيراً؟!

ليفى: لماذا برأيك؟!

ریکھارت (ینظر الی لینی طویلاً..ثم یضحک فجأة): لا تغضب منی سید

ليني.. بسبب تجهمك الذي لا ينتهي..

(ســـــــــــــــتار)

المشهد التاسع

«اعضاء اللجنة الدولية بكامل هيئتها مجتمعة في احدى القاعات، يبدو على الجميع الانتظار، يدخل روبرت كارل ثم يجلس الى رأس المائدة»

كارل: صباح الخير ايها السادة، و اسمحوا لي أن أذهب رأساً الى هدف الاجتماع، أولاً و قبل كل شيء، أريد ان اوجه الشكر الجزيل لفريق المحققين، رجالاً و نساءً الذين استطاعوا خلال فترة قياسية أن يقدموا البنا تقريراً أولاً عن القضية التي نحن بصددھا، و بين ايدي أعضاء اللجنة المحترمين نسخاً من هذا التقرير. هدف اجتماعنا الآن هو مناقشة هذا التقرير قبل ان نستمع الى شهود العيان.. بكلمات أخرى، فإن نتائج هذا النقاش سيحدد طبيعة عمل اللجنة فيما سيأتي من أيام.

رئيس فريق التحقيق: اسمح لي سيد كارل ان أشير الى الصعوبات التي واجهتنا و نحن نكتب هذا التقرير الأولي الذي بين أيديكم.

كارل: تفضل.. سنكون سعداء بالاستماع اليك.

رئيس فريق المحققين: تمثلت المشكلة الأولى في تحديد الجغرافية، فليس هناك حدود جغرافية تفصل بين الجماعات هنا، فكل طرف يدعي ان كل شيء هنا هو ملكه، و بالتالي فإن مدينة مثل حيفا أو القدس أو أي مدينة أو قرية اخرى لا تعرف بالتحديد لمن هي و الى اي منطقة جغرافية تعود. الجغرافية هنا متوهمة أو مفترضة أو متخيلة.

كارل: ولكننا جهة دولية، و مرجعياتنا هي القرارات الصادرة عن الامم المتحدة و مجلس الأمن.

رئيس فريق المحققين: حتى هذا لا يفيد، بعد اتفاق اسلو، تداخلت الخطوط تماماً و مرجعيات مجلس الأمن لم تعد مفهومة.

ليفني: هذا طبيعي جداً، قرارات مجلس الأمن تتقدم و من ثم يعاد تفسيرها. كارل: و المشكلة الأخرى لو سمحت.

رئيس فريق التحقيق: رواية كل طرف مستمرة لا تنقطع، رواية كل طرف لا تقتصر على الحاضر، الحاضر لا يكفي لديهما، الجميع يريد المغادرة الى النهايات، ولهذا، اصارحك يا سيد كارل ان من الصعوبة بمكان معرفة الحقيقة أو ملابسات اي حادث هنا.

كارل: ارجوك ان توضح هذه المسألة.

رئيس فريق التحقيق: باختصار، انت لا تستطيع ان تحصل على الجملة الأخيرة او لب الموضوع كما يقولون. روايات الطرفين ليس لها بداية و ليس لها نهاية. و هكذا فإنك لا تستطيع ان تحدد ما هو المهم أو الأكثر اهمية، و ما تعتقد انك فهمته ستفاجأ ان فهمك قاصر أو انه لا يكفي.

ليفني: اشكرك على هذه الدقة في التوصيف، ربما هذا سيعطي اعضاء اللجنة المحترمين صورة عن تعقيد الوضع و غموضه.

رئيس فريق التحقيق: المثير في الأمر حقاً ان الطرفين يعرفان بعضهما الى حد كبير، فالفلسطيني يعمل لدى الاسرائيلي، يبني له بيته أو ينظف حديقته، و الاسرائيلي يصلح سيارته في كراج الفلسطيني، و لكنهما على استعداد

كامل لقتل بعضهما البعض؛ هناك حيرة حقيقية، ففي لحظة تشعر انهما جماعتان متشابهتان تماماً، بالعناد و الأوهام و الآمال، و في لحظة اخرى تشعر انهما بعيدان كل البعد عن بعضهما البعض. انهما يعيشان على ذات الأرض، الى درجة يشعر المرء فيها أن الطرفين يعتقدان ان هذه الأرض أهم منهما. أنا متأسف ان اتحدث بهذه الطريقة و لكن ذلك اثر في الواقع على طبيعة صياغة التقرير الذي بين أيديكم.

كارل: شكراً لك على ملاحظاتك، هل هناك من مداخلات اخرى.

محقة ١: اريد ان اشير الى ان الجماعة المسلحة في هذه القضية تقدم نفسها على انها المعتدى عليه، و في هذا نوع من الاستفهام حول قضية تختلف عن قضايا مشابهة في العالم. الجماعة المسلحة تستعير و لا أريد ان أقول أنها تقلد لغة الجماعة العزلاء.

ليفي: احتج على هذا التوصيف، فمن حق كل جماعة ان تستخدم ما تريد من تعابير و مهمتنا ان نقدم توصياتنا.

محقة ١ (مراجعة): اردت فقط ان أعبر عن المشاكل و الانطباعات التي واجهتنا شخصياً، أنا آسف اذا فهمتوني بطريقة أخرى.

كارل: هذا طبيعي، فنحن نقرب من صراع هو الاطول في صراعات العالم الحديث، و هو من التعقيد بحيث يثير كافة أنواع الأسئلة.

ريكهارت: من خلال قراءتي للتقرير الأولي هذا، لدي سؤال الى رئيس فريق التحقيق..

رئيس التحقيق: تفضل..

ريكهارت: ذكرت في تقريرك ان اقامة كفار صقر أثر بشكل حاد على امدادات المياه لقرية كفر صقر و كذلك على مساحة الأرض المزروعة و التضرر بمياه المجاري..فهل تقصد ان اقامة كفار صقر أضّر بالمكان و سكانه. رئيس الفريق: انا لم أقل ذلك،أنا أوضحت البيئة التي جرى فيها ما جرى و ليس من صلاحياتي التقييم.

خديجة: من جهة اخرى،ذكرت ان الفلسطينيين في قرية كفر صقر يعملون في بلدة كفار صقر و ان ذلك رفع من مستواهم المعيشي،فكيف نوفق بين الأمرين؟!

رئيس الفريق: الأمر معقد حقاً..لا نستطيع فهم مشاعر العداء من جهة و التفاعل الاجتماعي من جهة أخرى.الصراع هنا ينجم على كل شيء، و لكن، و من جهة اخرى،يرغب الكل في ان يقلل من ظهوره أو أثره.

محققة ١(بسرعة): هذا كلام فيه تسرع،الصراع مسيطر و طاغ حتى في لافتات الشوارع و انواع الطرق و طرق البناء،الصراع يظهر في كل شيء هنا.هذه بلاد اصبح الصراع احد مميزاتها.

ليفي: يبدو ان الأنسة تتعجل في احكامها، ان هذا لا يفيد في سجلك يا آنستي

محققة ١: نحن بشر أيضاً سيد ليفي،الموضوعية لا يجب أن تدفعني الى التنكر لما أؤمن به..

ريكهارت: كل الاحترام يا آنستي.احترم شجاعتك جداً..سؤالي الآخر لرئيس الفريق يتلخص في حالة العدائية بين الطرفين،فكيف اذن يسمح

سكان كفار صقر بمرور سكان كفر صقر من قلب بلدتهم.

ليفي: اعتقد اننا استمعنا و رأينا الوضع، و ان هذا وضع مؤقت.

ريكهارت: ليس عن هذا اسأل.

رئيس الفريق: حالة العدائية متذبذبة و هي تزداد في حالة قتل شخص من احدى الجماعتين، او في حالة الاستيلاء على الممتلكات او الاشتباكات، و فيما عدا ذلك قد تستغرب الحالة التي تسود.

ليفي: هل تعتقد ان هناك محرضون على الكراهية و العدائية؟!

رئيس الفريق: بالنظر الى المنطقة، فإنها معبأة بمشاعر الكراهية و العدائية و التوجس.

ليفي: سؤالي أكثر تحديداً، هل تعتقد أن هناك من يحرض على سكان كفار صقر؟!

رئيس الفريق: يصعب القول..

ليفي: سؤالي محدد.. ارجو الاجابة

رئيس الفريق: طبعاً.. اذ يقال ان..

ليفي: اشكرك لقد أجبت على سؤالي.

خديجة: برأيك هل هناك آليات أو مقترحات للتقريب بين الجماعتين.

رئيس الفريق: السلام تقصدين.. حتى هذه المسألة معقدة.

كارل: هذا ليس من اختصاص هذه اللجنة، نحن هنا لا نبحث عن مقترحات السلام.

المشهد العاشر

«في إحدى قاعات الفندق يدخل الأعضاء الأربعة و مترجم و يجلسون خلف مائدة عليها آلات تسجيل، هناك كاتب بعيد يحضر أوراقه ، يدخل أحد أعضاء الفريق و يعلن دخول أبو سليمان، يدخل هذا متردداً و متوجساً، و اناقته المرتبكة جعلت منه أكثر ارتباكاً...»

أبو سليمان: السلام عليكم

(يميل المترجم باتجاه الأعضاء و يهمس لهم، و هكذا يفعل كل مرة يتحدث فيها شهود العيان)

كارل: و لك السلام أيضاً. ما اسمك؟!

(يميل الموظف الأممي الذي أدخله باتجاهه و هكذا يفعل في كل مرة يتحدث فيها شهود العيان)

أبو سليمان: اسمي راشد العمري.

كارل: و ما هي طبيعة عملك؟!

أبو سليمان: أنا رئيس المجلس المحلي لقرية كفر صقر، و قد تم تعييني من قبل وزارة الداخلية بعد الانقسام، و قد كنت قبل ذلك مدير المدرسة الابتدائية في القرية.

كارل: انقسام.. ما هذا الانقسام.

أبو سليمان: الانقسام.. يعني.. حماس و فتح.. يعني.. تقاطلا فيما بينهما و

استقل كل طرف منهما بما تحت يديه من أرض و سلطة..طرف في الضفة
تحت الاحتلال و طرف في غزة تحت الحصار.

ليفني (بما يشبه الابتسام): و لماذا تقاتلا؟!

أبو سليمان (متهرباً): هناك كلام كثير يقال حول أسباب ذلك.

ريكهارت: و انت ما رأيك؟!

أبو سليمان: بماذا؟!

ريكهارت: بالانقسام؟!

أبو سليمان: غلط

ريكهارت: لماذا؟!

أبو سليمان: بدلاً من ان تطرد الاحتلال من بلدنا فقد طردنا بعضنا بعضاً.

ليفني: ما هو الاحتلال برأيك؟!

أبو سليمان: الاحتلال..الاحتلال..أنه يقتل ابناءنا و..

ليفني: هل تكره الاحتلال.

أبو سليمان: طبعاً..ليس هناك في الدنيا أسوأ من الاحتلال.

ليفني: و هل تكره المحتلين برأيك؟!

أبو سليمان: طبعاً.. و من لا يكره محتله.

(ليفني ينظر الى أعضاء اللجنة و يهز راسه،فيما دارى هؤلاء وجههم و

انكبوا على أوراقهم)

كارل: نريد ان نسمع منك عن ما جرى يوم ٢٠ من الشهر الماضي؟!

أبو سليمان: كنت يومها في المجلس أتابع عملي، و اذا بهاتفني الخلوي
يرن، كان المتصل سائق الباص الوحيد الذي يقل ركاب القرية الى رام الله،
كان يصرخ في أذني و هو ييكي و يقول ان كل الركاب قتلوا برصاص
المستوطنين في مستوطنة كفار صقر.

ليفني: يعني انت لم تكن و قت الحادث؟!

أبو سليمان: لا؟!

ليفني: لماذا جئت اذن؟!

أبو سليمان: لأنني عضو في اللجنة التي شكلتها القرية من جميع الحمائل
للحديث امامكم.

ليفني: و لكنك لم تشاهد ما جرى أصلاً.

أبو سليمان: لا ولكن؟!

كارل: طيب،ماذا تريد أن تقول ؟! اختصر لو سمحت.

أبو سليمان: بعد أن انهي سائق الباص صراخه و بكاءه،اتصلت بمكتب
التنسيق المدني و أعلمته بالأمر، ثم اتصلت باسعاف رام الله، و وجدت
نفسي لارتباككي أتصل بمختار المستوطنة كلاين.

ليفني: لماذا اتصلت به؟!

أبو سليمان: اردت ان اطمئن أو ان أكذب ما قاله سائق الباص، أردت ان
أتأكد، انا اعرف كلاين، فقد عرض عليّ عدة مرات المساهمة في مشاريع مشتركة.

كارل: مشاريع مشتركة.. هل لك أن تفصح؟!

أبو سليمان: ان بنى خزان ماء يزود القرية و المستوطنة، و مشروع دواجن و مناحل مشتركة و برك سباحة و زراعة غابة على كامل الجبل الذي تقع عليه قريتي و مستوطنته.

ليفي: و هل رفضت ذلك؟!

أبو سليمان: طبعاً، يجب ان أرفض.

ليفي: لماذا يجب أن ترفض؟!

أبو سليمان: هؤلاء محتلون.. ان قبولي هذه المشاريع هو قبول للاحتلال.

ليفي: ولكنك قلت ان تكره المحتلين؟!

أبو سليمان: طبعاً

ريكهارت: و لكن قريتك بدون ماء تقريباً..

أبو سليمان: هي بدون ماء.. الصيف الماضي لم نجد ما نشربه، و اخذنا نشتري صهاريج الماء من قرى بعيدة.

ليفي: و لكنكم لو اشركتم في بناء خزان ماء مع اهالي كفار صقر لما تعرضتم لذلك، أليس كذلك؟!

أبو سليمان: نعم صحيح..

كارل: الا تعتقد أنكم اخطأتم برفض الاشتراك ببناء الخزان؟!

أبو سليمان: ليس الأمر كما..

ليفى: الأمر واضح أليس كذلك؟!

أبو سليمان (بغضب): لا اله الا الله، محمد رسول الله.. يا جماعة اسمعوني..

كارل (ينظر الى خديجة): لماذا تمدح الله الآن؟!

أبو سليمان: أمدح الله.. أنا.. أنا مسلم.

خديجة: هل تشعر أنك أفضل من الجميع لكونك مسلم.

أبو سليمان (بحيرة شديدة): أنا.. بفضل الله مسلم ولكن..

خديجة: هل تعرف أنني مسلمة و لكنني اعتقد ان ذلك لا يمنحني أفضلية.

أبو سليمان: لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم.

كارل (متوجهاً الى خديجة): ماذا يعني هذا؟!

خديجة (باستهانة): هذه طريقة في الكلام يقولها المسلمون في حالة العجز.

ريكهارت: اكمل لو سمحت سيد راشد، ماذا حصل بعد اتصالك بالسيد

كلاين؟!

أبو سليمان (و كأنه أنقذ): نعم نعم.. اتصلت به..

ليفى: بأي لغة تحدثت معه؟؟!

أبو سليمان: بالعبرية

ليفى: هل تعرف العبرية.

أبو سليمان طبعاً.. لقد عملت في المصانع و المزارع الاسرائيلية كثيراً في

شبابي.. كثير من اهالي قرية كفر صقر يتحدثون العبرية.

ليفى: اذن.. انتم تعرفون الكثير عن اليهود.

المشهد الحادي عشر

«المشهد السابق، يعلن عن دخول مختار مستوطنة كفار صقر يدخل هذا رجلاً في الخمسينات و يمكن له ان يكون شابيرا نفسه، يعتمر الكيبا و حول خصره تتدلى خيوط كثيرة.. ييادره رئيس اللجنة..»
كارل: أهلاً و سهلاً سيد كلاين ساندلر

كلاين: اهلا بكم..أنا سعيد بوجودكم..استطيع التحدث بالانكليزية..
أليس كذلك.

كارل: تحدث كما تريد.

كلاين: اعيد الترحيب بكم و نامل من حضراتكم باعتباركم تمثلون العالم الحر و المتنور ان تفهموا الضائقة التي نعيشها.

ريكهارت: ماذا تعمل سيد كلاين؟

كلاين: انا رئيس كفار صقر، التي أقمناها بكثير من الجهد و العمل الدؤوب..

ريكهارت: اين كنت تقيم قبل اقامتها؟!

كلاين: كنت مدرساً للفيزياء في بروكلين بمدينة نيويورك، و لكني رأيت ان الحياة بعيداً عن أرض الميعاد لا معنى لها..جئت قبل عشر سنوات، تطوعت في جيش الدفاع، ألقيت محاضرات كثيرة، علمت بعض الوقت طلاباً يهوداً من القادمين الجدد، و لكني وجدت حياتي و هديني في اقامة كفار صقر

حيث قاتل المحارب العظيم يهودا المكابي.. انني اصحو كل صباح، اصلي و اجلس الى النافذة، اسرح بصري في قمم الجبال و استعيد روعة هذا المحارب العظيم.. نعم كفار صقر تعطيني معنى عميقاً و لا نهائياً لحياتي.

خديجة: من ساعدكم في اقامة كفار صقر!!

كلاين: ارحب بك سيدة خديجة و انا احبيك على مواقفك الشجاعة و مبادئك الانسانية و ارادتك الحرة، انت ملهمة حقاً لكثيرات في العالم الذي نعيش.

خديجة(بزهو ما): شكراً لك، و لكن لم تجب عن السؤال.

كلاين: اشترينا الأرض من الحكومة، و تلقينا مساعدات من محسنين يهود من الولايات المتحدة و اوروبا.

ريكهارت: و الماء و الكهرباء و شبكة الهواتف و الطرق و الحماية و المدارس؟!

كلاين: ساعدتنا الحكومة في ذلك.

ريكهارت: و ما علاقتكم بالسكان المحليين؟!

كلاين: طيبة في العادة لولا التحريض الدائم على الكراهية؟!

ريكهارت: من الذي يحرض على الكراهية.

كلاين: المتعصبون الدينيون، نحن نستمتع الى شيخ الجامع في كفر صقر، و هو يشتمنا دائماً، و يقول عنا أننا قتلة و مغتصبون و يهود ملاعين.. و هو يقول أن ذلك مكتوب في القرآن.

كارل: و انتم، هل تحضون عليهم بالمقابل.

كلاين: مستحيل، لقد عرضت عليهم الاشتراك في بناء خزان مياه مشترك، و عرضت عليهم عدة شاريع تنمية و لكنهم رفضوا بسبب التحريض و الكراهية.

كارل: هل تعتقد ان سبب كراهيتهم هو مصادرة اراضيهم؟!

كلاين: لا، لا يمكن ان يكون هذا هو السبب، لانهم تقدموا بشكوى الى محكمة العدل العليا الاسرائيلية، و قد حكمت بالارض لنا، و بالتالي، فإن امتلاكنا للارض قانوني مئة بالمئة، انت تعرف سيد كارل و انت الخبير العالمي، ان اسرائيل دولة قانون صارم، لقد أخذنا الأرض بالقانون، تماماً كما فعل أبونا ابراهيم عندما وصل مدينة حبرون و اشترى مغارة من صاحبها ليسكن فيها. لقد سجلت التوراة هذه الحادثة لترشدنا دائماً الى اننا أمة تحفظ الحقوق و تقيم العدل.

ليفى: و هل ما زلت تعرض على السكان المحليين مشاريع مشتركة سيد كلاين؟!

كلاين: طبعاً سيد ليفى، و قد رأيت بعينيك عندما زرتنا اننا نخطط لخير المنطقة كلها، فنحن نخطط لاقامة بركة لتربية الاسماك و حديقة للحيوانات النادرة و جلب حيوان اللاما الى جبال يهودا و السامرة.

ليفى: نعم، لاحظت ذلك.

ريكهارت: و ماذا عن الحادثة في يوم عشرين من الشهر الماضي؟

كلاين: الحقيقة أنني لم اكن متواجداً في كفار صقر عندما وقع ما وقع، لقد

عرفت بذلك من اتصال مختار كفر صقر و اسمه.. اسمه.. راشد، أبو سليمان،
إتصل بي و هو يصيح و يسألني فيما اذا كان ذلك صحيحاً ام لا.

ريكهارت: ما هي علاقتك بهذا الشخص؟!

كلاين: التقيت به مرتين أو ثلاثة، طرحت عليه عدة مشاريع، وعدني بأن
يدرسها ولكنه لم يرد عليّ حتى اللحظة..

خديجة: ولكنه قال أنك عرضت عليه أيضاً مشاركته في المتاجرة بالسيارات
المستعملة غير المرخصة.

كلاين: ماذا.. كيف؟!

خديجة: أنت تأتي بالسيارات المسروقة أو المنتهية الاستعمال من تل أبيب،
و يقوم مختار كفر صقر ببيعها للفلسطينيين بسعر مغرٍ جداً.

كلاين: هذا غير صحيح؟! أنا أقضي وقتي كله في الصلاة و الدراسة و
التدريس في المعهد الديني.. لا وقت عندي لهذه التفاهات.

ليفي: ماذا تدرس في المعهد الديني؟!

كلاين: احاول التخصص في علوم القبالة..

كارل(بنوع من الحمس): آ.. هذا مثير للاهتمام..

كلاين: القبالة علم لا مثيل له في الكون كله.. ليس كذلك سيد كارل.

كارل(بنوع من التهرب): انه يقدم إجابات أيضاً.

كلاين: لا يا سيدي، اذا كانت الأديان مقترحات إلهية تختلف البشر على
تفسيرها، و لهذا كانت الصراعات و الحروب، فإن القبالة تنفي ذلك جملة

و تفصيلاً، القبالة تعيد الامور الى مربعاتها الأولى. القبالة تعيد المكسور و المحطم و المهشم الى أصله الاول.

خديجة: و ماذا عن تجارة السيارات المستعملة. قال السيد راشد أنك أفنعت سائق الباص بهذه التجارة؟!

ليفي: كنت أرغب ان اسمع السيد كلاين يكمل حديثه عن القبالة.

كلاين: معهدنا الديني في كفار صقر متخصص في هذا العلم سيد ليفي، وقد رأيت الحاخامات الأفاضل الذين يدرسون فيه.

ريكهارت: هل القبالة صوفية أخرى؟!

كلاين: أكثر من صوفية، و أعمق من فلسفة.

خديجة: ماذا فعلت بعد ان اتصل بك السيد راشد و أخبرك بما وقع.

كلاين: اتصلت بمسؤول الأمن في كفار صقر، الملازم أوري، و سألته عن الحادث، فأكد لي.

خديجة: ماذا قال لك؟!

كلاين: قال انه سمع اطلاق نيران، فذهب للاستطلاع فوجد جثثاً ملقاة في الشارع.

ريكهارت: في الشارع، أم داخل الباص؟!

كلاين: لم أسأله.

ريكهارت: فماذا سألته؟!

كلاين: كان سؤالي الأول: هل القتل على يد عرب ام يهود؟!

المشهد الثاني عشر

« في غرفة خديجة، يظهر عليها الاضطراب، و ما أن تسمع دقات على الباب حتى تهرع إليه، يدخل ريكهارت..»

ريكهارت: ارجو ان يكون الأمر يستحق هذا القلق الذي حمله صوتك في التلفون.

خديجة: لا اعرف..لقد اتصلت بي المحققة بولين و كانت مضطربة هي الأخرى.قالت ان عندها ما يجب أن اعرفه.

ريكهارت: اليست هي المحققة التي أغضبت والتر ليفي؟!

خديجة: هي بعينها.

ريكهارت: هل هي ألمانية أم اسكندنافية؟!

خديجة: ألمانية.

ريكهارت: آ..

خديجة: ماذا..

ريكهارت: لا..ولكن..الأحقاد التاريخية لا تنتهي..الا تعتقدين ذلك؟!

خديجة: و لكن ليفي مستفز جداً، يتصرف و كأنه رئيس اللجنة..حتى رئيس اللجنة يخشاه.

ريكهارت: الا تخشيه انت..

خديجة: و انت..ماذا عنك.. ايتها الأسطورة..

ريكهارت(بأقصى ما في صوته من جدية): هل تعتقدين ذلك؟!

خديجة: بصراحة..الجميع يخاف من ليفي..

ريكهارت(بالجدية ذاتها): لماذا برأيك ؟!

خديجة: لا ادري..صار مجرد انتقاد ليفي تهمة قانونية، او صار مجرد التعريض بمواقفه او كلامه أو دينه او تاريخه مسألة مشبوهة..

ريكهارت: هذا كثير..اليس كذلك.

خديجة(بحذر): كثير..نعم..كثير.

ريكهارت: ليفي..ليفى..

(يسمعان طرقاتاً على الباب، تهرع خديجة لفتحه، تدخل المحققة بولين)

خديجة(و هي تجرها من ذراعها): أهلاً بك آنسة بولين..لقد انتقل اليّ اضطرابك.

بولين(باضطراب): يجب أن لا أبقى هنا طويلاً، حركاتنا محسوبة علينا، و لكنني مضطرة أن أنقل اليكما انتما بالذات أنكما مراقبان أكثر منا..

ريكهارت: ماذا..ماذا تقولين؟!

بولين: أقول أنكما مراقبان، و قد طلب مني و من موظف في الفندق و صحفي آخر أن نتابع لقاءاتكما الحميمة.

ريكهارت: ماذا تقولين يا آنسة، لماذا؟!

بولين: قيل ان خديجة لا يوثق بها لأن أصولها عربية و مسلمة، أما انت يا سيدي، فأسمح لي أن ما توصف به هو الطيش و الشبق و الغرور و الشذوذ ككل أمريكي نموذجي..

ريكهارت(ضاحكاً): انا فخور بأنني أمريكي نموذجي.

خديجة: و هل هذا وقت الضحك أو الفخر؟!

ريكهارت: و لكن..من الذي طلب اليك مراقبتنا؟!

بولين(بتردد): شخص مهم..مهم جداً..لا يمكنني أن أذكر اسمه.

خديجة: و لكن..لماذا..لماذا؟!

بولين: حتى..لضمان حياديتكما في اللجنة.

(يضحكان)

خديجة: حياديتنا..و لكننا محايدان..

بولين: و دعمكما أيضاً.

خديجة: دعمنا لأي شيء..

بولين: لكل ما يخطر على البال.

خديجة: ما رأيك يا ريكهارت.

ريكهارت: هذه فضيحة..وهل..هل تفعلين ذلك دائماً يا آنسة بولين.

بولين: المهم الآن أن تعرفا ذلك،و تأخذا حذركما.

خديجة: انا مذهولة، نحن لم نفعل شيئاً حتى نحذر..ماذا يريدون منا؟!

ريكهارت: آنسة بولين.. هناك سؤال مهم يدور في داخلي..

بولين: أعرفه.. ما الذي يجعلك تصدقني.. و لماذا أفعل ذلك ؟!

ريكهارت: يعني ما الذي يدفعك الى المخاطرة.. من اجل ماذا و من اجل من ؟!

بولين: هذا من أجلي و من أجل أمي..

(توشك على البكاء)

بولين(من خلال دموعها): ماتت أمي قبل عشرة أيام، ماتت في اليوم الذي رافقت فيه والتر ليفي الى مستوطنة كفار صقر.

خديجة: و ما علاقة موت امك بزيارتك للمستوطنة ؟!

بولين: أمي علمتني كل شيء، قالت لي كل شيء، ما يقال و ما لا يقبل، و عندما ماتت شعرت انني تحررت، و بالصدفة وصلني الخبر و انا في مستوطنة كفار صقر.. شعرت ان روح امي ترفرف حولي.. شعرت بها تقول لي أن أحذر و ان اكون حكيمة و عاقلة.. ولكن المعرفة تدفع الى المغامرة، المعرفة تدفع الى المزيد من المعرفة.. و بالصدفة كان كلاين رئيس المستوطنة يشرح لنا بالتفصيل قصة بناء المستوطنة و كيف اضطر المستوطنون الى قتل عدد من السكان المحليين لاقناعهم بوجود المستوطنة على رأس الجبل.. لحظتها، انتبهت الى لغته الواثقة و تعابير وجهه التي لم تتغير، كان يتحدث عن القتل باستعذاب و كأنه يتحدث عن صيد الغزلان، كان كلامه عن القتل و كأنه تفصيل لا أهمية له.. كان يحمل البندقية على كتفه و يشير بيديه الى الجبال القريبة و القرى الفلسطينية المتناثرة اسفل الوادي و على جنباته و كأنه

يملكها أو كأنه يستطيع ابادتها أو تهجيرها وقتما يريد و كيفما يريد.. شعرت حينئذ أنني أخون أنساني، شعرت انني أستطيع الآن ان اقول لأمي أنني لن احذر بعد اليوم.. كنت وسط كذبة كبرى، كذبة يجند لها الآلاف أن لم يكن الملايين، كذبة مستمرة بالاف الأشكال، غسيل دماغ عالمي.. شعرت ان موت أمي حررتني من كل ارتباط يجعلني حذرة و عاقلة و حكيمة.. ساعثني سألت كلاين عن الفرق بين مستوطنة التي لا تتجاوز الستين و القرية الفلسطينية التي تتجاوز عدة مئات من السنين، و لماذا تحظى المستوطنة بكل شيء فيما جردت القرية الفلسطينية من كل شيء، لم يكن كلاين ذكياً او دبلوماسياً ليرد ان ذلك طبيعي و ان هناك حيوانات معينة ان اطعمت أكثر من اللازم فإنها تبطر و تبدأ الرفس. صعقتني رده، اذهلني قدرته و جرأته على قول ما يريد أمام ليفي و أمامي.. أكمل حديثه عن شخص تاريخي مهم يدعى يهودا المكابي، تحدث عنه كأنه مات يوم أمس، اما القرية الفلسطينية فهو يتحدث عنها و كأنها و كر للشعابين.. أدركت عندئذ انني لن أستم، و لن أكذب على نفسي أكثر، ماتت أمي و لم يعد أحد في العالم أهتم لأمره سوى ما أؤمن به. لهذا السبب أريد أن أقول لكما أننا نراقبكما حتى لا تقولوا أو تكتبنا أو تصرحنا بما لا يجب ان يسمعه العالم.. هل فهمتما الآن ما الذي يجري.

ريكهات: و لكن.. و لكن.. هذه فضيحة..

بولين: لا تقل لي انك لا تعرف ما الذي يجري.. انت متفاجئ لأن النار علقت بثيابك ليس الا.

خديجة (بدهشة): و الغرب و ديمقراطيته و عدله و حكمته..

بولين: آسفة يا سيدتي.. و لا تفهمي كلامي بشكل عنصري..أنتم في العالم الثالث مجرد سوق رخيص و منجم ثروات و حقل تجارب.

ريكهارت: هل..هل التقطم صوراً لي و لخديجة..

بولين(بما يشبه الصراحة الوقحة): و انت في أقصى ذروات الفانتازيا خاصتك.

ريكهارت: قُضي عليّ..و سستبت كل الاشاعات التي بثتها الصحافة الصفراء عني.

خديجة: ماذا سيقولون عني في بلادي..بلادي..آه..اين انت يا بلادي.

(ســـــــــــــــــــــــــــــــــــــتار)

المشهد الثالث عشر

«ريكهارت و ليفي في أحد ردهات الفندق، يحتسيان شراباً»

ليفي: قلت انك تريدني في اجتماع غير رسمي.

ريكهارت: نعم.. هذا لقاء لم يتم و الكلام الذي ستسمعه لم أقله أبداً.

ليفي: تفضل.

ريكهارت: اعتقد ان علاقتي بالسيدة خديجة لا تهم أحداً و لا تؤثر على سير و عدالة و حيادية عمل اللجنة.

ليفي(مندهشاً): و من قال غير ذلك؟!

ريكهارت: فلماذا نلاحق و نصور..

ليفي(بكثير من مظاهر المفاجأة): و كيف عرفت ذلك؟!

ريكهارت: لي مصادر أيضاً.

ليفي: هذه فضيحة و مخالفة قانونية، يجب عليك أن تقدم شكوى.

ريكهارت: و ماذا أريح من تقديم شكوى؟!

ليفي: لتعرف من هو المستفيد من ذلك و ما هي اهدافه؟!

ريكهارت: و اقضي على سمعتي و مهنتي و مستقبلي..

ليفي: مستقبلك.. انت اسطورة هوليوود يا رجل.. لم يشتهر رجل عسكري مثلك.

ريكهارت: فهل تريدني ان اقدم للصحافة و لاعدائي مادة سهلة لمهاجمتي.

ليفني: فماذا تريد مني اذن؟!

ريكهارت: انا أستغرب أمامك انت بالذات هذا التصرف، فنحن في خندق واحد كما أعتقد، فلماذا لا تثق بي؟!

ليفني: بالعكس أنا أثق بك جداً.

ريكهارت: ولكني لاحظت اهتمامك بعلاقتي الخاصة بالسيدة خديجة.

ليفني: السيدة خديجة امرأة مسلية و جميلة و جريئة.

ريكهارت: فلماذا يريد البعض تدميرنا؟!

ليفني: قدم شكوى..قلت لك.

ريكهارت: لماذا تدير حديثاً ساذجاً مثل هذا..انت تعرف و انا أعرف أن الأمور لا تدار هكذا.

ليفني: كيف تدار أذن؟!

ريكهارت: من يلاحقنا يريد أن يسكتنا أو يهددنا أو كلا الأمرين.. فمن هو المستفيد من ذلك برأيك.

ليفني: من هو المستفيد؟!

ريكهارت: انا و أنت نعرف أن الاستيطان في الأراضي المحتلة مخالف للقانون الدولي، و انا و انت نعرف أن ما يفعله الاحتلال الاسرائيلي هنا هو مخالف لكل القوانين الدولية، و انا و انت نعرف ان تشكيل مثل هذه اللجنة انما هو جزء من الروتين الدولي لا يقدم و لا يؤخر، فلماذا، رغم كل هذا، يريدون

منا ان نسكت؟! اعترف امامك انني منذهل.

ليفني: انت مخطئ جداً، هذه اللجنة ليست جزءاً من الروتين الدولي، بالعكس من ذلك، انها لجنة دولية و ما سيتمخض عنها سيشكل اساساً قانونياً دولياً، ثم من قال ذلك ان ما تقوم به اسرائيل هنا مخالف للقوانين الدولية. هل تلاحظ معي اننا مختلفان جداً، و هل تلاحظ انك تملك افكاراً مسبقة عن مجريات الأمور هنا. ربما كان من يلاحقك يعرف أفكارك هذه. هذه افكار- و اسمح لي ان أكون صريحاً معك- هذه أفكار مخيفة. هل تفوهت بهذه الافكار أمام أشخاص آخرين غيري.

ريكهارت(بانزعاج حقيقي): هل تصدق ما تقول؟! هل تصدق فعلاً ما تتفوه به أمامي الآن؟!

ليفني: طبعاً، ولماذا لا أؤمن و أصدق ذلك؟! هذه اراضٍ متنازع عليها، هذا أولاً، ثم ان القرارات الدولية المتعلقة بها قرارات غامضة تحتاج الى تفسيرات و اجتهادات مختلفة، ثم، و هذا الأهم، فإن أطراف النزاع اتفقا خارج القوانين الدولية من خلال ما يعرف باتفاق اوسلو، فلماذا لا أصدق ما أقوله امامك؟!

ريكهارت: و لكنك تعرف كيف تم ذلك؟!

ليفني: و كيف تم ذلك؟!

ريكهارت: بالقوة.. و المزيد من القوة.. اسرائيل لم تبق امام الفلسطينيين سوى الاستسلام.

ليفني: هذا هو التاريخ.. التاريخ ليس تلخيصاً للعدل.. و لا رحلة إليه و لا طلباً له.. التاريخ هو قصة الارادة.

ريكهارت: و لماذا لا تحصر الارادة باسرائيل..أو تقصرها عليها.

ليفني: و من قال لك ذلك.. ان اليهود راجحون في كل الأوقات، ففي حالة الألم و الهزيمة فإن الله يختبرهم و في حالة النصر فإن الله يتجلى لهم. اليهود مثل حب الزيتون، كلما هزموا و تألموا كلما أخرجوا الزيت المشع، و لهذا فإن الهزيمة و النصر لدى اليهود ما هي الا مراحل في رحلة واحدة.

ريكهارت: و ما هي وجهة هذه الرحلة؟!

ليفني: هذه مرحلة يطول شرحها، و هي ليست موضوعنا..

ريكهارت: الا تعتقد أنك تكشف يهوديتك؟!

ليفني: كما انك لا تخفي مسيحييتك.. لقد قلت لك سابقاً ان الهويات لا تموت و لا تختفي..

ريكهارت: ما معنى انضمامك الى هذه اللجنة و انت بهذه الأفكار المسبقة؟!

ليفني: هذه ليست أفكار مسبقة، هذه حقائق.

ريكهارت: فلماذا تنكر علي أفكاري المسبقة التي اعتبرها حقائق أيضاً.

ليفني: هذا هو جوهر خلافنا، و ربما سبب ظنوننا و شكوكنا..مشكلتكم في الغرب..

ريكهارت: ولكنك جزء من الغرب.. اليس كذلك؟!

ليفني: صحيح و لكن هويتي تتناقض مع الغرب.. أنا ابن الغرب و لكني اتنكر له، و ارفضه، و اعتقد انه كالعملاق الأعمى..

ريكهارت: و هل لهذا كله علاقة بملاحقتي؟!

ليفني: ما رأيك.. الا تعتقد ان من يلاحقك له بعض الحق في ضمان سكوتك و حيادك.

ريكهارت: الا تعتقد يا سيد ليفني ان من يريد اسكاتي انما يريد ان يرتكب الجريمة الكاملة.. الا تعتقد ان الجريمة الكاملة اسطورة و حلم كل المجرمين.

ليفني: هي حلم المجرم الصغير.. و لكنها ليست كذلك لصناع التاريخ.. و ما تعتقد انه جريمة قد يعتبرها آخرون عدلاً، هذا هو الفرق بيننا و بينكم؟!

ريكهارت: ما هو الفرق.. لم أفهم؟

ليفني: آخر مطامح الغرب هو اقامة جنة أرضية، تتبادلون فيها السلطة بلعبة اخترعتموها اسمها الديمقراطية و أنظمة دفاعية تخيفون بها الآخرين و تكنولوجيا تريحكم من العمل، أما نحن، فإن جنتنا غير ذلك تماماً. و لهذا فإن المعايير و المرجعيات التي نحكم بها على الأشياء مختلفة تماماً.

ريكهارت: الآن، و بعد ان عرف كل منا حقيقة الآخر، لماذا تلاحقني؟!

ليفني: انت تثرثر كثيراً مع امرأة خرقاء لا تمتلك من المزايا سوى مؤخرة فاخرة تحسب انها اذا تعرت أكثر كلما رضي عنها الغرب أكثر.

ريكهارت: انت ضد الليبرالية ايضاً.

ليفني: ثرثرتك هذه لم تعجبني و لم تطمئنني..

المشهد الرابع عشر

«اللجنة مجتمعة في احدى قاعات الفندق، يدخل محمود و شاбира يحملان ملفات، يبدو على الجميع التوتر و الغضب.»

كارل: صباح الخير للجميع، نبدأ هذا الاجتماع الذي دعوت إليه للتعبير عن غضبي و امتعاضي من عرقلة سير اللجنة، فبالإضافة الى تسريب أنشطة اللجنة و أعمالها الى الصحافة العالمية و المحلية، فإن الأطراف المعنية تقوم باعاقة العمل و ابطائه، هذا فضلاً عن الجو المشحون الذي يسود جو العمل بشكل عام، و لكن هذا لن نناقشه في هذا الاجتماع. هذا الاجتماع مخصص لمساءلة السيد شاбира و السيد محمود حول تلك الاجراءات التي نعتقد انها تعيق اعمال اللجنة.

محمود: انا مستعد للرد على كل استفسار.

كارل(ينظر باتجاه شاбира): نرجو من كل الاطراف ان تبدي ذات التعاون.

شاбира: و انا كذلك مستعد للإجابة على كل سؤال.

كارل(متوجهاً الى محمود): ما هي مبرراتك لعدم حضور شهود العيان من قرية كفر صقر.

محمود: لأن المستوطنين في كفار صقر اغلقوا الطريق، و كما تعرف، ليس لأهل القرية الفلسطينية من طريق آخر غير تلك الطريق التي تمر من المستوطنة، هذا أولاً، اما ثانياً، فإن قوات الاحتلال الاسرائيلية اغلقت القرية نفسها، و منعت التجوال فيها منذ ثلاثة أيام، و بدأت بحملة اعتقالات

و مصادرة للسيارات التي ادعت ان كثيراً منها مسروقة من مناطق اسرائيلية داخل الخط الأخضر.

كارل: هل لديك تبريرات يا سيد شايبيرا لهذه الاجراءات؟!

شايبيرا: أنا أشعر بالاسف حقاً أن السيد محمود يقوم بعرض الوقائع بطريقة مشوهة و خاطئة، فهو لم يذكر ان سكان كفار صقر اضطروا الى اغلاق الطريق لأن بعض شبان القرية ارادوا الانتقام لموت عقيد هاجم كفار صقر بمفرده، هذا العقيد كان يحمل أسلحة فتاكة، و لو لم يقتل على السياج لكان ألحق العديد من الاصابات، و لكنه قتل، و قد اراد بعض شبان القرية اختطاف حارس هناك يدعى بافلوف، و لكنهم لم ينجحوا رغم انهم أصابوه اصابة بالغة.

محمود: هذا كلام غير حقيقي اطلاقاً. كل ما هنالك ان مجموعة من المتضامنين الأجانب تقودهم امرأة يهودية أوروبية تدعى اورانيت ليفي تصاحبها مجموعة من اهالي القرية وقفت للتظاهر بالقرب من المستوطنة تعبيراً عن التضامن مع اهالي القرية و ..

ليفي: لو سمحت سيد محمود.. ما اسم المرأة؟!

محمود: اسمها اورانيت ليفي ..

ليفي (باهتمام بالغ): هل تستطيع .. اعذروني ايها السادة في الرغبة بمعرفة التفاصيل .. هل تستطيع يا سيد محمود أن تصف هذه المرأة ..

محمود (مستغرباً): امرأة متوسطة الطول، متوسطة العمر، شعرها أصهب، و عيناها زرقاوان، و هي تقول دائماً انها يهودية و لكنها ضد السياسة

الاسرائيلية.

ليفي (باهتمام بالغ): هل.. هل تبدو و كأنها تعرج في مشيتها..

محمود (بما يشبه فرح الاكتشاف): نعم.. نعم.. و.. و.. اعذروني.. هي تشبهك بشكل او بآخر.

ليفي (بدون وعي): مستحيل، ابنتي غادرت البيت منذ وقت طويل.. لا يمكن لابنتي أن تكون هنا.

محمود (دون أن ينتبه): ما اردت ان أقول ايها السادة ان هؤلاء المتضامنين و لسبب ما اشتبكوا مع رجال أمن المستوطنة الذين اطلقوا أعيرة النيران الحية، بينما رد هؤلاء بالحجارة، وقد جرح العديد من المواطنين و المتضامنين الأجانب بما فيهم السيدة اورانيت.

ليفي (مقاطعاً بسرعة): و هل اصابتها خطيرة..

محمود: لا، كان جرحاً بسيطاً، المهم، بعد تلك المواجهة، أغلق المستوطنون الطريق، و في الليل، فرض جيش الاحتلال حظر التجوال على القرية و بدأ بحملة اعتقالات و مصادرة للسيارات التي ادعى انها مسروقة.

كارل (متوجهاً الى شابيرا): ماذا عندك يا سيد شابيرا؟!

شابيرا: هذه رواية السيد محمود، و لكن الرواية الحقيقية غير ذلك تماماً، فالاجراء العسكري باغلاق القرية و مصادرة السيارات المسروقة جاء بناءً على معلومات مؤكدة تفيد أن قرية كفر صقر تحولت الى وكر كبير لتفكيك السيارات المسروقة من اسرائيل، و ان كثيراً من أبناء القرية يعتاشون على ذلك.

ريكهارت: و يبدو ان هذا ما اعتمدت عليه الصحافة المحلية و العالمية
للادعاء ان ما جرى من قتل انما هو بسبب تصفيات بيت تجار سيارات
مسروقة.

شابيرا: نحن لا علاقة بهذه التسريبات.. انا لست عضواً في اللجنة.

ريكهارت: فكيف وصل الى الصحافة ان هناك علاقة تجارية و مالية مشبوهة
بين رئيس المستوطنة و بعض مواطني القرية.

خديجة: الا تعتقد سيد شابيرا ان حملة عسكرية على القرية لمصادرة
السيارات المسروقة ستعزز رواية الصحف تلك؟!!

شابيرا: لا علم لي بذلك، و اعتقد ان ليس هناك علاقة بين الاجراء
العسكري و الأخبار التي تنتشر في الصحف.

ريكهارت: و لكن الصحف العالمية و منذ الآن تكتب أن أسباب الحادث
هي أسباب تتعلق بالجريمة المنظمة أو تصفية الحسابات في العالم السفلي.

شابيرا: و ما علاقتي بالصحف أيها السادة، انا موظف أمني أمثل الحكومة
الاسرائيلية. أليس كذلك؟!!

كارل: و لكنكم بهذا الاجراء، سيد شابيرا، منعم شهود العيان من الوصول
الينا للادلاء بشهاداتهم؟!!

شابيرا: هذه بسيطة، اطلبوا أي شخص منهم و نحن على استعداد لمنحه
تصريحاً للخروج من القرية.. بشرط أن لا يكون قد تم اعتقاله خلال هذا
الاجراء.

ريكهارت (بما يشبه السخرية): الا تعتقد أن هذا تعطيل حقيقي و تدخل

فعلي بعمل اللجنة!؟

شابيرا: أرجو أن اذكرك يا سيد ريكهارت ان القانون الاسرائيلي له حق الأولوية، ثم لا ارجب ان اذكرك ان نطاق عمل اللجنة الموقرة هو لتقصي الحقائق فقط.

ريكهارت(مستمراً في سخريته الحقيقية): اشكرك على تذكيرك لي بمدى صلاحيات لجنتنا الموقرة.

محمود(متوجهاً الى شابيرا): و لكني أملك معلومات تفيد بأنكم اعتقلتم بعض أفراد اللجنة التي شكلها أبناء القرية.

شابيرا: لسوء حظ هؤلاء يبدو أن لديهم ما يقولونه امام السلطات العسكرية.

محمود(لرئيس اللجنة): ماذا تقترح يا سيدي و الحالة هذه!؟

كارل(في حيرة): ارجو منك سيد محمود ان تقدم لي قائمة أسماء أخرى من أجل استصدار تصاريح الخروج.

محمود: ألا ترى يا سيدي أن ذلك سيؤثر على نوعية و طبيعة عمل اللجنة!؟

كارل: لا بد من ارتجال البدائل..

ريكهارت: سيد كارل..هل يمكننا الادلاء بتصريحات تنفي الروايات الصحفية التي تشوه عملنا و تسبقه و ربما تضلله.

كارل(ينظر الى ليفي): ما رأي الأعضاء المحترمين!؟

(ليفي منكمش على نفسه)

خديجة: اعتقد ان من الواجب، سيد كارل، ان تصرح للصحافة بما يجعل من الروايات متوازنة على الأقل.

كارل: هذا أمر كنت أخشى حدوثه، أنا لا أحب الصحافة.
ريكهارت: لا بد من ذلك، لحفظ ماء الوجه على الأقل.
(يدخل أحد العاملين في الفندق يقدم ورقة الى ليفي، فيقرأها هذا،
يتمتع لونه، يحدق في الحاضرين)
ليفى: غير معقول.. أنا لا أصدق هذا !؟
كارل(مظهراً تعاطفه): ماذا هناك سيد ليفي، أرجو أن لا تكون أخباراً
سيئة.
ليفى(في ذهوله): ابنتي.. اورانيت ليفي.. تطلب لقائي.. هنا في الفندق.

(ســـــــــــــــــــــتار)

المشهد الخامس عشر

«في قاعة جانبية من الفندق، تجلس اورانيت على كرسي وقد ربطت ذراعها الى عنقها، و ما ان يدخل عليها ليفي، حتى تهب واقفة..»

ليفي (لا يخفي اضطرابه): أخيراً، هنا.. في القدس..

اورانيت (لا تتقدم): هل تتذكر أمي.. الآن.. و هنا..

ليفي: أملك.. لماذا تتذكرينها الآن؟!

اورانيت (لا تخفي انفعالها): أريد ان ابكي على صدرها.

ليفي (متجاهلاً): هل اصابتك خطيرة؟!

اورانيت: هل ترى؟! يا لسخرية الأقدار. يهود يطلقون النار على يهودية مسالمة..

ليفي: حسبتك في جنوب افريقيا..

اورانيت: ليس لي ما أفعله هناك، قتل زوجي على يد لصوص صغار، لسخرية القدر أيضاً، كان يرغب في أن يكون شيئاً كبيراً، و لكنه قتل على يد لصوص في ليلة ماطرة.

ليفي: وهل.. هل لك أبناء؟!

اورانيت: لماذا تسأل؟! متى كان أمري يهكم؟!

ليفي: كان امرك يهمني دائماً.. ولكنك مجنونة..

اورانيت: مثل أمي..

ليفى: أرجوك.. أرجوك.. هذا يقتلني.. توقفى عن اتهامي بأنني سبب جنونها.

اورانيت: فمن كان اذن؟!

ليفى: وراثة لعينة، دم فاسد موروث.. بحق الإله.. لماذا لا تفهمي ذلك؟!

اورانيت: و هل تعتقد أنني سأرغب في الانجاب اذن؟!

ليفى: بالله عليك.. انت لم تأت الى هنا لتعذبيني!!

اورانيت: أنا أعيش هنا.

ليفى: هنا في اسرائيل..

اورانيت: لا.. أنا أسكن في القدس... في شطرها المحتل عام ١٩٦٧ كما يقول الفلسطينيون.

ليفى: يعني.. يعني انت تعيشين مع الفلسطينيين.

اورانيت: و أين توقعت أن أعيش؟!

ليفى: لماذا ليس مع اليهود؟!

اورانيت: أولئك الذين خانوا يهوديتهم..

ليفى: يا ألهي.. بدأ جنونك.. انا أعرفه.. تماما كأملك..

اورانيت: بالضبط.. كأمي تماما.. لك أن تفرح بهذا.

ليفى: أرجوك.. أرجوك.. لا تعذبيني و لا تعذي نفسك.

اورانيت: لهذا اعيش بين الفلسطينيين.. أعيش مع سيدة عجوز من آل نسيبة.. هل تعرف أنه هذه الأسرة تحمل مفتاح كنيسة القيامة.. هل تعرف أن تلك

السيدة و أبناءها يعاملونني كأني إحدى خالاتهم أو عماتهم.. فهل تريدني أن أعيش بين من خانوا يهوديتهم؟!

ليفي: وكيف خانوا يهوديتهم بالله عليك؟!

اورانيت: اليهودية فكرة و لكن هؤلاء حولوها الى مكان، الصهاينة دمروا هذا الدين و اسأؤوا إليه، الصهاينة هؤلاء جروا اليهود الى أن يواجهوا العالم كله هذه المرة..

ليفي: و لماذا لا تقولين ان الصهاينة هؤلاء هم الأنبياء الجدد لليهودية باعتبارهم الذين استطاعوا تفسير النصوص المقدسة و ترجمتها؟ لماذا لا تعتبري هؤلاء بأنهم حققوا المعجزة التي لم يستطع حتى أنبياء اليهود فعلها؟! لماذا لا تقولين ان الصهاينة هم الذين خلقوا جسراً حقيقياً بين تناقض اليهودية ذاتها و بين تناقض التاريخ اليهودي ذاته؟! لماذا لا تقولي ان الصهاينة هم الذين قدموا الحل النهائي لمشكلة التاريخ باعتبارها مشكلة اليهود؟! لماذا لا ترين الجانب القوي و المشرق و الداعي الى الفخر.

اورانيت: و ما ثمن ذلك؟! الدم و لا شيء غير الدم؟!

ليفي: و ما هو التاريخ اذن.. أليس هو سيرة الدم؟!

اورانيت: لماذا لا تقول انه سيرة الحب.. الدم يجعل من مفهوم الحياة ذاتها عبثاً لا طائل تحته.. الدم يكتب النهايات التي لا معنى لها.. الدم عبثي تماماً.. هل تستطيع ان تبرر لي لماذا أجمعت كل الأديان على تحريم الدم.

ليفي: انت لم تطليبي لقائي من أجل درس في الأخلاق بالتأكيد.

اورانيت: لا، بالتأكيد، و لكني قرأت في الصحف عن وجودك.. و عن المهزلة التي تشترك بها في ما يسمى بلجنة تقصي الحقائق.

ليفني (مبتسماً): و لماذا تسخرين من اللجنة؟! هل لأنني عضو فيها؟!
اورانيت (مبتسماً): أعرف اللجان التي تشارك فيها عادة. و لكن هذه المرة
قررت ان أصارحك بالحقيقة؟!
ليفني: حقيقة، هذا رائع.. ما هي الحقيقة ؟!
اورانيت: الحقيقة العارية مخجلة و ثقيلة و تحتاج دائما الى عيين و قلب..
ليفني (ساخراً): لماذا تكون الحقائق دائماً عارية.. لماذا لا تأتي و هي متأنقة
!؟
اورانيت: السخرية اليهودية لا تفيد هنا.
ليفني: بالعكس، لقد عشنا دائماً مع السخرية.. السخرية خبزنا و زيتنا..
اورانيت: فلماذا تريد أن تسمع الحقيقة اذن؟! هل تريد ذلك لتعرف كيف
تحاربها أو تلتف عليها.
ليفني: ارجوك.. ارجوك يا.. يا اورانيت.. ليس هناك من حقائق.
اورانيت: حتى انك ترفض مناداتي يا ابنتي.. هل تشك بأنني لست أبنتك..
أمي خانتك كثيراً.. و لكنني ابنتك.. اطمئن من هذه الناحية.
ليفني (باستخزاء): دمك يهودي في نهاية الأمر.. حكمتك و صلابتك
يهودية تماماً.. أعرف هذا.
اورانيت: فلماذا اذن لا تصدق ان حكومة اسرائيل تريد طرد اصحاب القرية
الفلسطينية من أجل مصادرة الجبل الذي تقع عليه.. لماذا لا تصدق ان
هؤلاء المستوطنين هم جنود بلباس مدني.
ليفني: و لماذا أصدق ذلك؟!!

اورانيت: هذه سرقة في وضح النهار، اعتداء على القانون الدولي، هذا عمل لا انساني و لا اخلاقي، دعك من كل هذا، ان حكومة اسرائيل تغامر بمستقبل الشعب اليهودي.

ليفى: و ماذا في ذلك؟! و هل تاريخنا سوى هذه الكوارث و النكبات.. نحن شعب نشبه حبة الزيتون، عندما تهرس يخرج منها الزيت. و نحن مثلها، الكوارث تقرنا من الله، أو تقرب الله الينا، لا فرق. اسمعي الآن يا اورانيت، لا تصدقي أبداً أننا ضد الكوارث.. الكوارث تعلمنا.. هكذا ما كتب في نصوصنا. انت لا تعرفين اليهود أبداً. تعليمك الغربي أفسدك.

اورانيت: كيف ارد عليك.. يا الهي.. كيف أرد على من يعتقد أنه لا يكتمل الا بالكارثة.

ليفى: أحسنت با اورانيت.. لا دين و لا عقيدة بلا كارثة ما.. مضت أو ستاتي.

اورانيت: و القرية الفلسطينية المحاصرة.. و الدماء البريئة..

ليفى: هذه تفاصيل.. صدقيني.. الرسائل الكبرى تتصاعد و تتكامل مع تقدم الوقت.

اورانيت: و العلم و التقدم و الديمقراطية و الحداثة..

ليفى: صدقيني، كل ذلك تعبير عن ازمة و ليس حلاً لأزمة.. ثم أن كل ذلك لا يعني سوى ان هناك ثقافات أفضل من ثقافات بسبب المرونة العقلية ليس إلا.. ان كل ما ذكرته ليست سوى مزيد من الشكوك و الاحتمالات ليس إلا.. اليهودي الحقيقي يعتبر ذلك مسائل لا تخصه و لا تعنيه بقدر استغلالها لخدمته.

المشهد السادس عشر

اللجنة مجتمعة، يبدو على الأعضاء التجهم و التوتر، يعلن أحد العاملين عن دخول حارس بوابة المستوطنة بافلوف، يدخل هذا بطريقة استعراضية، يجلس امام الأعضاء و هو ينظر اليهم بما يشبه التحدي.

كارل: عرف عن نفسك و عن عملك لو سمحت؟!

(يهمس المترجم في اذن بافلوف)

بافلوف: أنا لا أجيد سوى الروسية و لا أعبر عن نفسي الا بها.

(يهمس المترجم بأذن كارل)

كارل: تحدث بالروسية، اللغة ليست مشكلة هنا.

بافلوف: أنا بافلوف، ديميتري بافلوف، يهودي روسي، أحمل اجازة في الطب..غير متزوج و أعمل حارساً لبوابة كفار صقر منذ اقامتها.

ريكهارت: ولكن، كيف تعمل حارساً لبوابة و انت تحمل اجازة في الطب.

بافلوف(ضاحكا): رسبت في امتحان الطب هنا في اسرائيل، فلم استطع العمل في أي مستشفى، فعملت في مهن كثيرة أوصلني بعضها الى السجن، ثم وجدت أن السكن في مستوطنة أفضل و آمن و أكثر ربحاً.

ريكهارت: هل تربح كثيراً من عملك كحارس بوابة؟!

بافلوف: أوه..كثيراً..

كارل: فماذا تعرف عن حادثة القتل التي وقعت في كفار صقر.

بافلوف: لا أعرف الكثير.. الناس هنا مجانين.. يقتلون لاتفه الأسباب..

كارل: لم أفهم سيد بافلوف.. انا لا أريد رأيك.. أنا أريد معلومات محددة..
ماذا رأيت بالضبط لحظة وقوع الحادثة؟!

بافلوف: كل ما أعرفه أنني فتحت البوابة للباس الذي كان يقل عرباً من
القرية المجاورة حسب الجدول المتفق عليه معهم .

خديجة: و هل هناك جدول للدخول و الخروج.

بافلوف: نعم.. الاتفاق ينص على ان نفتح البوابة لهم الساعة السابعة

و النصف صباحاً للدخول، ثم نفتحها عند الساعة الثانية، و بعد ذلك
نغلقها حتى اليوم التالي.

خديجة: أي ان سكان القرية العربية لا يستطيعون استعمال الطريق المار من
قريتكم الا مرتين في اليوم؟!

بافلوف: طبعاً.. هذا هو الاتفاق ؟!

ريكهارت: و اذا اضطر احد سكان القرية العربية الى ان يخرج من قريته
مساء، فماذا عساه يفعل.

بافلوف: لا يستطيع إطلاقاً.. الا اذا كان يحمل بطاقة «شخص مهم»

و هي بطاقة تعطي للشخصيات العاملة في السلطة الفلسطينية، او كان
يحمل اذنًا من القائد العسكري الاسرائيلي للمنطقة.

كارل: أكمل سيد بافلوف..قلت أنك فتحت البوابة الساعة السابعة و النصف صباحاً، ثم ما الذي حصل ؟!

بافلوف: لا أدري، فقد انطلق الباص في طريقة داخل المستوطنة، و بعد أقل من ثلاث دقائق، سمعت صوت اطلاق النيران بشكل كثيف.

كارل: هل كنت ترى الباص في تلك اللحظة ؟!

بافلوف: لا، كان مختفياً وراء منزل من المنازل ؟!

كارل: ماذا فعلت بعد سماعك اطلاق النيران ؟!

بافلوف: لم أفعل شيئاً، فأنا لا أستطيع مغادرة البوابة مهما حصل، و لكني اتصلت بمسؤول أمن القرية..أوري..هو مسئول الأمن..اتصلت به لأبلغه بما سمعت.

كارل: بعد سماعك اطلاق النار، و اتصالك بمسئول الأمن أوري.. ما الذي حصل ؟!

بافلوف: لم يحصل شيء..ساد صمت شديد..حتى العصافير توقفت عن الحركة.

خديجة: عجب أنك انتبهت للعصافير.

بافلوف(بما يشبه الابتسام): عندنا في روسيا يعتقدون أن العصافير تشعر بالكارثة قبل و بعد حصولها.

كارل: و متى قدمت سيارات الاسعاف ؟!

بافلوف: أي سيارات الاسعاف تقصد؟!

كارل: أي سيارات اسعاف..

بافلوف: لم تأت سيارات اسعاف اسرائيلية على ما يبدو.. بل قدمت سيارة اسعاف عربية واحدة بعد حوالي ساعة او أكثر بقليل.

خديجة: فلماذا لم تأت اية سيارة اسعاف اسرائيلية؟!

بافلوف: لا أدري.. هذه ليست مهمتي.

ريكهارت: هل تعرف عدد القتلى؟!

بافلوف: لا أدري.

ريكهارت: هل تعرف احداً منهم؟!

بافلوف: لا أعرف أحداً منهم..

كارل: هل لك أية علاقات من أي نوع مع أحد من سكان القرية العربية؟!

بافلوف: اطلاقاً، و لماذا لا يكون لدي علاقات مع هؤلاء..

كارل: هل سمعت ان هناك علاقة بين رئيس القرية اليهودية و احد أبناء القرية العربية.

بافلوف: لم أسمع أبداً؟!

كارل: هل ادخلت الى المستوطنة أية سيارات أو مركبات غير قانونية يقودها أبناء القرية العربية؟!

بافلوف: لم يكن يهمني أبداً ان اتأكد من قانونية السيارات أو المركبات التي كانت تدخل الى كفار صقر، هذا لا يقع ضمن صلاحياتي.

ريكهارت: انت اذن لا تجزم ان سيارات غير قانونية دخلت الى كفار صقر.
بافلوف: لا أجزم اطلاقاً..

خديجة: من يزور كفار صقر عادة ؟!

بافلوف: أوه.. كثير من الأشخاص، اوروبيون، خبراء و علماء و عسكريون؛ وفود اميركية متعددة؛ طلابية و دينية و سياسية، آسيون، عمال و حرفيون و مزارعون، اسرائيليون عاديون يأتون للزيارة و التعرف، يزور المستوطنة أناس كثيرون جداً.

خديجة: و هل تترك البوابة عادة، هل لك مناوبة محددة ام انك..

بافلوف: انا لا أغادر البوابة طيلة أيام الأسبوع، لا في النهار و لا في الليل، الا أيام السبت، حيث اغادر الى بيت صديقتي في تل ابيب.. كل وقتي و كل حياتي الآن متعلقة بالبوابة، هناك غرفة صغيرة فيها كل ما أريد من عالمي.. حمام جيد و مذياع جيد و بندقية فيها اضافات تكنولوجية عجيبة.. هذا طبعاً.. مع تحديات مقبولة.

خديجة: ما هي هذه التحديات سيد بافلوف؟!

بافلوف: وجود العرب حولي.. انهم يعطونني دافعية لليقظة.. يعني.. دافع كافٍ للبقاء على الحياة.. أو حبها او الدفاع عنها.

ريكهارت: هل تدخن الحشيش.. أو هل تتعاطى أي نوع من المخدرات ؟!

ليفى (و كأنه يستيقظ من تاملاته): لا أعتقد أن لهذا السؤال اية علاقة بالموضوع سيد ريكهارت..

ريكهارت (متراجعاً): نعم..نعم.. انا أعذر.

بافلوف (باستهانة): اتعاطى المخدرات..نعم.. في بعض الاحيان.. لليقظة أيضاً..

خديجة (بسرعة): و من اين تحصل عليه؟!

ليفى (معتزضاً): هذا تحول في نوعية الأسئلة؟!

بافلوف: من العرب.. و هل هناك غيرهم يبيع المخدرات.. انهم تجار بارعون.. اكثر من اليهود.

ريكهارت: من يبيعك ذلك سيد بافلوف؟!

بافلوف: لا أدري لماذا تهمون بذلك.. و لكن سائق الباص العربي هو من يبيعي ذلك دائماً..

ليفى (يستعيد نشاطه): اذن سيد بافلوف.. هل تعتقد ان حادثة القتل لها علاقة بتجارة المخدرات..

بافلوف (كمن يبحث عن كلماته): لا أدري.. لا أدري بالضبط..

و لكن.. سائق الباص استطيع ان أوكد انه.. أنه كان تاجر مخدرات.. و سمعت أيضاً.. انه كان يبيع قطع سيارات مسروقة لبعض اصحاب الورشات اليهود في بعض المستوطنات.. و سمعت أيضاً أنه..

(يستمر في الكلام بينما تسدل الستارة)

المشهد السابع عشر

«في بهو الفندق، المحققان اللذان رأيناها فيما سبق يجلسان بما يدل على مللهما الشديد، يدخان و يشربان..

محقق ١: لقد تاخر الوفد..الا تعتقد ذلك؟!

محقق ٢: نعم..لقد تاخر..

محقق ١: كما تاخر عمل هذه اللجنة..

محقق ٢: انت محق.. سنة مرت دون نتائج..هذا كثير..

محقق ١: نعم..نعم..

محقق ٢: تغيرت اشياء كثيرة في سنة..

محقق ١: لماذا لم تسافر مع أعضاء اللجنة الآخرين.

محقق ٢: تقدمت بطلب للسفر و لكن طلي رفض كما تعلم..

محقق ١: لقد علقنا هنا دون عمل.

محقق ٢: نعم.. من دون عمل..نحن لا نعمل هنا..الا ترى ذلك؟!

محقق ١: الا تعتقد انه ليس مسموحاً لنا الكلام بشكل شخصي عن طبيعة عملنا.

محقق ٢: لماذا انت متحفظ الى هذه الدرجة..

محقق ١: آ..نعم..صحيح..ولكن..

محقق ٢: لماذا انت متحفظ الى هذه الدرجة..

محقق ١: انت تعرف..تعرف ما الذي حصل لزميلتنا بولين..

محقق ٢: نعم اعرف.. لقد اتهمت بتسريب المعلومات و الوثائق للصحافة..

محقق ١: و ليس هذا فقط..

محقق ٢: هل هناك اكثر؟!

محقق ١: و قدمت الى لجنة تحقيق و حكم عليها بالفصل..خذ اقرأ..

(يخرج من جيبه صحيفة و يشير الى صفحة منها)

محقق ٢: يا ألهي..يا ألهي..

محقق ١: و هناك صحف اخرى ذكرت أن لها أقارب نازيون..

محقق ٢: يا ألهي..يا ألهي العظيم.

محقق ١: و يقال ان استقالة السيدة خديجة و الجنرال ريكهارت له علاقة
بذلك كله..

محقق ٢: سمعت باستقالة هذين و لكن لم أربط علاقة ذلك بالتحقيق مع
بولين.

محقق ١: يقال أن الثلاثة تعاونوا على تدمير عمل اللجنة و تغيير مسارها و
العمل على افراغها من مضمونها.

محقق ٢: و كيف ذلك ؟!

محقق ١: يقال ان الثلاثة اظهروا تعاطفاً مع احد اطراف الصراع، و انهم

ضايقوا ذلك الطرف من خلال اسئلة محددة يشتم منها رائحة الانحياز.
محقق ٢: آ..و هل لهذا كله علاقة بتوقف عمل اللجنة و سفر أعضائها الى نيويورك.

محقق ١: نعم..و قد سمعت من طرف خفي أن تركيب اللجنة سيتغير تماماً.

محقق ٢: يعني قد نفاجأ بأشخاص آخرين هذا اليوم ؟!

محقق ١: هذا صحيح، و استغرب تأخرهم حتى هذا الوقت..فقد وصلت طائرهم الى مطار تل أبيب قبل ساعتين..

محقق ٢: هل هذا يعني أننا لن نرى والتر ليفي مرة أخرى ؟!

محقق ١: هذا ممكن..

محقق ٢: يا للأسف، كانت السيدة خديجة امرأة لطيفة..أن كنت تفهم ماذا أعني.

محقق ١: نعم..كانت لطيفة..

محقق ٢: اما الجنرال ريكهارت، فهو على الرغم من فظاظته و لكنه رجل مسلي.

محقق ١: يمكن الافتراض أنه كذلك.

محقق ٢: و هل تعتقد أن اللجنة الجديدة ستعيد العمل من أوله..أما انها ستكمل ما فعلناه مع اللجنة القديمة ؟!

محقق ١: لا أدري، و لكن من خلال خبرتي في هذا المجال، فإن اللجنة الجديدة عادة ما تبدأ من نقطة الصفر.

محقق ٢: لماذا يفعلون هذا برأيك؟!

محقق ١: اللجنة الجديدة عادة ما تعتقد انها الافضل و الأكفاء و ان هذا هو سبب اختيارها، و هي ترى انها لو لم تكن كذلك لما تم انهاء عمل اللجنة الأولى.

محقق ٢: أوه.. يا الهي.. ولكن.. ولكن.. لقد تغير كل شيء في كفار صقر و كفر صقر.. انت تعرف.. لقد تغيرت اشياء كثيرة خلال هذه الشهور..

محقق ١: و ماذا يهم؟!

محقق ٢: كيف لا يهم، لقد اعتقل سائق الباص العربي، و غادر بافلوف الى الولايات المتحدة الامريكية ليعمل في الطب هناك، و قتل أوري مسئول أمن كفار صقر في غزة خلال الهجوم الأخير عليها، و تعقدت العلاقات الفلسطينية الاسرائيلية و ..

محقق ١: هذا لا يهم يا زميلي، نستطيع البدء من جديد..

محقق ٢: و لكن.. ولكن.. انت تعرف.. لم يعد السكان المحليون يستخدمون الشارع المار من المستوطنة، أصبح لهم شارع مستقل، و انت تعرف ان سكان كفار صقر، رغم ذلك، هاجموا السكان المحليين من جديد و قتلوا راعياً للغنم هناك قبل أسبوع.

محقق ١: أعرف.. أعرف.. ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئاً.. هذه جيرة سيئة و لكن التحقيق جيد.. نحن ننفذ مشيئة المجتمع الدولي.. و المجتمع الدولي بحاجة الى المعلومات دائماً..

محقق ٢: القتل الكثير هنا.. ألا ترى ذلك.

محقق ١: كما في كل مناطق العالم.. يسقط في نيويورك قتلى بسبب المخدرات بعدد الذين يسقطون هنا بسبب الادعاءات و الأوهام.. ما الفرق.. افضل بين مشاعرك و واجبك يا زميلي العزيز.

محقق ٢: ماذا أقول.. يا الهي.. كيف تعرف العدل اذن ؟!

محقق ١: العدل هو ما تحدده الأمم المتحدة ؟!

محقق ٢: هاها.. و أين العدل الالهي ؟!

محقق ١: يا زميلي، اذا طبقنا العدل الالهي على الأرض فستكون هناك مذابح أكثر ألف مرة مما هو موجود، لهذا كانت العلمانية الليبرالية التي قام عليها الغرب و حماها و يحميها، و نحن، انا و انت و اللجنة، احد اذرعها، العدل الالهي وهم كبير.. الدين أفيون الشعوب حقاً، و لكن ليس بالمفهوم الماركسي، و انما بالمفهوم العلماني الرأسمالي الليبرالي أيضاً.. الدين لم يساوي بين البشر و لكن العلمانية الغربية فعلت ذلك.

محقق ٢: فاتن.. انت فاتن حقاً.. لم أكن أعرف مدى روعتك الا الآن.

محقق ١: آ.. ها قد وصل الوعد.

(يقومان بينما يدخل من باب القاعة الرئيسية كل من روبرت كارل و والتر ليفي و مرافقيهما..)

محقق ١: أهلا بك سيد كارل.. أهلا بك سيد ليفي.. أرجو ان تكون رحلتكما طيبة.. فقد قلقنا على تأخركم..

ليفي (بما يشبه الغضب): لقد تأخرنا في دخول القدس، كانت هناك عبوة ناسفة في الطريق، و قد انتظرنا طيلة الوقت حتى فككت قوات الأمن

المشهد الثامن عشر

«في إحدى قاعات الفندق، ليفي و كارل و معهما كل من محمود و شابيرا، يبدو على الجميع الانفعال»

ليفي: ايها السادة، اعرف ان اموراً كثيرة تغيرت و لكن هذا لا يعني الاعلان عن فشل اللجنة اطلاقاً، على العكس من ذلك، ان هذا سيجعل من عمل اللجنة أكثر ضرورة.

محمود (بانفعال): يا سيدي، اقول لك ان مستوطنة كفر صقر الآن تتمدد، وقد صودر أكثر من نصف ارض قرية كفر صقر بعد ان افتتح الشارع الجديد بين القرية و رام الله، و المستوطنون الآن يطلقون النار على الأهالي، لقد قتلوا قبل مدة قصيرة راعٍ للغنم، و هم يطلقون كلابهم و خنازيرهم ليلاً في حقول الناس.

ليفي: يا سيد محمود.. انت تعرف ان عمل اللجنة يتعلق بحادثة القتل ليس اكثر..

محمود (بانفعال): كل يوم هناك قتل و مصادرة.. هل تعرف ان قاذورات المستوطنة و محاربيها تتدفق على القرية ليل نهار.. هل تعرف ماذا يعني هذا ؟!

شابيرا (بهدهوء): باعتباري أمثل حكومة اسرائيل، فأني اقول لك بكامل الثقة، ان باستطاعة اهل القرية أن يتقدموا بشكوى الى الادارة المدنية في منطقة يهودا و السامرة أو ان يتقدموا بشكوى الى اية جهة قضائية في

اسرائيل، و انا متأكد ان قضيتهم ستلقى الاجراء اللازم.

محمود(بانفعال): ماذا ستلقى بالضبط..

شابيرا(بهدهوء): الاجراء اللازم.

محمود(بانفعال): ما هو هذا الاجراء اللازم برأيك ؟!

شابيرا(بهدهوء): يعني..ان كان هناك حق للسكان فانهم بالتأكيد سيحصلون عليه.

محمود(بالانفعال ذاته): و لكن اين كانت تلك الجهات القضائية عندما صدور اكثر من نصف اراضي القرية قبل شهرين.. و بقرار قضائي أيضاً.
شابيرا: بالتأكيد فإن للمحكمة أسبابها.

محمود(بانفعال قريب من البكاء): نعم..نعم، قالت المحكمة ان ذلك لأسباب عسكرية و امنية.. و ربك وحده يعلم ما هي هذه الأسباب العسكرية و الأمنية.

شابيرا: اذن..هناك منفعة عامة للمنطقة كلها.

محمود(بانفعال): و لكن الاراضي هذه تحولت الى ملكية المستوطنين و قد شرعوا في البناء عليها.

كارل: ارجو من السيد محمود ان يهدأ، لأننا لم نعد نفهم القضية برمتها، سيد محمود، اسمح ان اذكرك بأننا هنا من اجل حادثة القتل التي جرت قبل سنة..ان كل ما تقوله هو خارج مسؤوليات اللجنة.

محمود: كل شيء مرتبط ببعضه البعض..فهل تستطيع أن تقول لي لماذا

اعتقل سائق الباص الذي كان الشاهد الاول في هذه الجريمة.

شابيرا: ارجو ان اذكر اللجنة ان هذا السائق اعتقل على خلفية تورطه في تجارة السيارات المسروقة من المستوطنات القريبة و تورطه أيضاً في تجارة المخدرات و الأسلحة.

محمود: فلماذا اذن قتل في السجن عندكم ؟!

شابيرا: قتله زملاؤه لانهم اتهموه بالتعاون مع الأمن الاسرائيلي.

محمود: و لكنه قتل في غرف العملاء الذين يستعملهم الامن الاسرائيلي للايقاع بالمعتقلين الفلسطينيين.. و هذا يعني ان قوات الامن الاسرائيلي هذه لم تكن بعيدة عما جرى للسائق.

شابيرا: اذكر لك ان هذا الكلام غير دقيق.

محمود: أوكد لك ان هذا دقيق جداً.

كارل: لو سمحتم ايها السادة، لقد اغرقتمونا في التفاصيل التي لا داعي لها.. و لكن. اليس هناك تنسيق امني بين قوات الأمن الفلسطينية و الاسرائيلية.

شابيرا(بما يشبه الفرح): نعم..ارجو ان يتذكر السيد محمود ذلك..

ليفني(بهدهوء): فلماذا اذن يقتل سائق الباص اذا كان يتعاون مع الامن الاسرائيلي ؟!

شابيرا: ارجو من السيد محمود ان يجيب على سؤال السيد ليفني..أم ان المطلوب هو ان تحتكر الجهات الامنية الفلسطينية هذا الحق..ان هذا- برأيي- تخريب و تدمير لاتفاق اوسلو..اليس كذلك يا سيد محمود.

محمود(بغيط مكتوم): ألا تزال تتحدث عن اتفاق اوسلو ؟!

شابيرا: طبعاً..الا نتعاون اميناً على أساس من هذا الاتفاق..

محمود(بغيط): بغض النظر..ان اعتقال سائق الباص و من ثم قتله عطل عمل هذه اللجنة بشكل أو بآخر.

ليفي: لم و لن يعطلها..هذا السائق، و على الرغم من اهمية شهادته، الا انه كان متورطاً في العديد من القضايا، و عليه، فإننا نطلب منك يا سيد محمود توفير شاهدي عيان آخرين.

محمود(باستسلام): و لكن اهل القرية خائفون..انهم يعتقدون ان ما جرى لسائق الباص كان مدبراً لمنع من الادلاء بشهادته.. فقد اعتقل الرجل و من ثم قتل و لم يتوقف الأمر عند ذلك، بل شوّهت صورته و اتهم بأنه يعمل لصالح الامن الاسرائيلي.

شابيرا: ارجوك يا سيد محمود، قلت لك، لماذا تحتكر القوات الامنية الفلسطينية التنسيق الامني وحدها، نحن جيران و من حق الجار على الجار ان ينبيه الى مخاطر الإرهاب و الجريمة و العنف..

كارل: ثم يا سيد محمود، ارجو ان لا تنسى ان هناك آخرون قتلوا من الطرف الاسرائيلي، فقد ذكرت التقارير التي أمامي أن اوري مسئول الامن في كفار صقر قتل هو أيضاً، فهل هذا سبب لتعطيل أو توقف اللجنة عن عملها.

محمود: و لكن اوري قتل على حدود قطاع غزة أثناء الهجوم الاسرائيلي الاخير عليها،يعني، قتل و هو يحارب، و هذا يدل بما لا يدع مجالاً للشك أن المستوطنين في اراضي الضفة الغربية هم جنود ليس الا.

ليفى: كلامك هذا يثير الاستغراب، و ماذا تطلب من هؤلاء ان يكونوا؟!
محمود(بعنف): يعنى يا سيدى أن المستوطنة مجرد معسكر جنود لا تعاونية
زراعية.

شابيرا: رائع انك ذكرت هذا يا سيد محمود، لقد اطلع السيد والتر ليفى تماماً
على الوضع في كفار صقر، و رأى بأمر عينيه ان كفار صقر مزرعة متطورة
و مختبر علمي فائق و مركز علمي عالمي.. و هذا كله ينفي ما ذكرته عن
معسكر الجنود..الاستيطان يا سيد محمود، و هذا ليس دفاعاً عن المبدأ، و
لكنه خير عميم، لو أنكم تعاونتم معه..

محمود(بغضب مكثوم): خير عميم لكم..انتم ببساطه تسلبون الأرض و
الحرية، و لكم ان تسموا ذلك كما تريدون.

ليفى: ارى يا سيد محمود انك تتحدث بأفكار مسبقة، و انا أقدر غضبك،
و لكننا مضطرون الى التقدم الى الامام.. و لا بد من اكمال عمل اللجنة..
ان كل ما ذكر الآن لا علاقة له بحادثة القتل، و نحن و بعد تغير هيكل
اللجنة لأسباب فنية، فإننا نكمل العمل بطريقة مختلفة، و لا بد من اكمال
التقرير، و لهذا اطلب منكما، ايها السيدان، توفير شاهدي عيان جدد
خلال ثلاثة أيام منذ الآن.

محمود(معتزلاً): لقد قلت لكم ان اهل القرية متخوفون جداً من الالاء
بشهاداتهم.. و لهذا اطلب ضمانات خطية من السيد شابيرا بعدم التعرض
لمن سيدلي بشهادته.

(يحاول شابيرا ان يرد، و لكن ليفى يسبقه الى القول)

ليفي: لو سمحت لي يا سيد محمود، هذا خارج حدود سلطة اللجنة، ونحن سنستمر في عملنا سواء شاركتكم في ذلك ام لا.. يؤسفني ان اقول ذلك، و لكن عمل اللجنة لن يتوقف.

محمود(متوجها الى شاييرا): انكم بذلك تقضون على كل امكانية
للتعايش.. ان المستوطنة تقتل كل شيء حتى المستقبل.

شاييرا (باستھانہ): دےك من المستقبل..دعنا نتحدث عن الحاضر.

محمود(بالم شديد): و لكنكم بهذا تحاصروننا بشكل لم يسبق له مثيل.

شايبيرا(بذات الاستهانة): انتم تصبرون و تمجدون الصبر.

ليفي: أرحوكم ايها السادة دعونا نتحدث في موضوعنا فقط، خلال ثلاثة ايام، ارجو منكما ان تبلغوا اللجنة بشاهدي العيان الذين سيمثلون أمام اللجنة.

محمود: لا أعد بذلك..فالناس خائفون.

شبابيرا: ارغب من جهتي، ان ابلغ اللجنة منذ الآن، اننا جاهزون.

(يحاول محمود ان يقول شيئاً و لكن ليفي يسبقه الى القول)

ليفي: اسمح لي أيضا ان ابعلكما ان الحديث الى الصحافة ممنوع، و ان عمل اللجنة سري حتى صدور التقرير النهائي.

(محمود يجاوول ان يقول شيئاً، و لكن كارل يسبقه ايضاً)

كارل: اذن، اجتماعنا القادم سيكون بعد خمسة أيام منذ الآن. شكراً كما
ايها السادة الى اللقاء.

(ســـــــــــــــــــــتار)

المشهد التاسع عشر

«في احدى قاعات الفندق، اللجنة مجتمعة للاستماع كما في السابق، يدخل الدكتور عزيز الى القاعة و يقسم ويقف امام اللجنة.»

ليفى: ما هو اسمك و عملك.

الدكتور عزيز: اسمي عزيز عبد الرحيم و اعمل استاذاً في التاريخ في الجامعة.

ليفى: ما هو تخصصك الدقيق في التاريخ؟!

الدكتور: تاريخ اليهود.

ليفى(لا يستطيع اخفاء اندهاشه): حقاً.. و كيف رأيت اليهود اذن؟!

الدكتور: اليهود كلمة عامة جداً، و لا نستطيع ان نصف بها كل الجماعات.. أسألني عن أية جماعة يهودية تريد..

ليفى(لا يخفي اندهاشه): آ...آ...واضح..واضح جداً..ولكن..هل تحب اليهود؟!

الدكتور(لا يخفي ابتسامته): اي يهود تقصد؟! قلت لك يا سيدي..اليهود كلمة عامة جداً تفقد قدرتها على الاختصار أو التعميم..

ليفى(متضايقاً): اليهود الذين هم هنا..هذا ما قصدته.

الدكتور: و هل لحى او كراهيتي علاقة بهذا التحقيق؟!

ليفى: تقصد تقصي الحقائق ..

الدكتور (بابتسامة خفيفة): نعم.. تقصي الحقائق..

ليفي: ماذا عن اليهود الذين هم هنا ..

الدكتور: تقصد المستوطنين في كفار صقر.. نعم.. نعم.. هؤلاء سيطروا على أرض قريتي و قتلوا بعضاً من اهلها و يلوثون مزروعاتها بقاذوراتهم و صادروا اجمل مواقعها و بساينها و يتحكمون بحركاتنا و نشاطاتنا.. و بالتالي.. فاني ساكون كاذباً و منافقاً و كارهاً لذاتي اذا قلت انني احبهم.. و لكن المسألة ليست متوقفة على الحب و الكراهية و انما..

كارل: يعني انت تكره اليهود..

الدكتور: قلت ان المسألة ليست..

ليفي: هل كرهك لليهود يجعلك او يدفعك الى المبالغة في شهادتك.

الدكتور: هل كره اعدائي عار أو عيب.. من الطبيعي ان يكره المرء أعداءه.

ليفي: هناك كراهية تختلف عن اخرى..

الدكتور (بابتسامة لا تخفى): و هل هناك فرق في الكراهية ؟!

ليفي: نعم.. الكراهية تختلف في النوعية و الكمية.. هناك كراهية مؤقتة او دائمة، كراهية احتقار أو نفور..

الدكتور (يتحول الى ما يشبه القهقهه): فما هي الكمية المسموح بها لكراهية اعدائي ؟!

ليفي: لماذا تضحك ايها السيد ؟!

الدكتور: لأنني حتى الآن لم أسأل عن حادثة القتل، و إنما تنصب الأسئلة كلها حول ما اكنه في قلبي.. و هذا لا علاقة له بما جرى يوم الحادث؟! **ليفي:** انت تفهم في التاريخ وو تعرف ان التاريخ هو الوجدان..أي هو غير المرئي اصلاً.

الدكتور: و لكننا نحكم و نقيم حسب المرئي منه. لماذا تريدني أن أعرب عن مشاعري بينما يعرب الآخر عن فعله..لماذا تحاسبني على دموعي بينما لا تحاسب الآخر على رصاصاته.

كارل(متدخلاً): فماذا رأيت يوم الحادث؟! باختصار لو سمحت؟!!

الدكتور: نعم..لهذا انا جئت، كنت في الباص، كان هناك أكثر من ثلاثين راكباً، و بعد ان دخلنا بوابة المستوطنة بقليل، ربما اقل من ثلاث دقائق، توقف الباص لسبب ما، و فجأة، احاط بنا حوالي خمسة من الرجال الملتحين، و قف واحد منهم امام الباص تماماً فيما وقف كل اثنين على جانبه، و بدأ الجميع باطلاق النيران من اسلحة قصيرة، لم يستمر اطلاق النار طويلاً، ربما أقل من دقيقة، انبطحت على أرض الباص، و سمعت الرجال يتخاطبون بالعبرية بما معناه ان المهمة انتهت و ان عليهم الاختفاء.

ليفي: هل تعرف العبرية؟!!

الدكتور: نعم..

ليفي: و اين تعلمتها؟!!

الدكتور(بابتسامه): لقد عمل معظم الفلسطينيين في مطاعم و مزارع و مشاغل و مصانع اسرائيل، لقد كنا و ما زلنا ايدي عمل رخيصة و نظيفة

لدى رأس المال الاسرائيلي، و لولا ما يزعمه الاسرائيليون عن المخاوف الامنية لظل عمالنا ارحص يد عاملة في اسرائيل.. و قد كنت احد هؤلاء و عملت في مطعم اسرائيلي سنين طويلة، و تعلمت العبرية هناك، ثم لما اكملت دراستي الجامعية كان عليّ ان أتعلمها من جديد.

ليفني: و هل انت متأكد من أن المثلثين تحدثوا العبرية فيما بينهم؟!
الدكتور: نعم... أنا متأكد.

ليفني: ألا تعتقد ان ذلك قد يكون من أجل التمويه و التغطية.. يعني من أجل إصاق التهمة باليهود؟!!

الدكتور: لا أعتقد ذلك لأن اللهجة التي قيلت بها الكلمات لا يستطيع اي فلسطيني ان يتقنها.

ليفني: لماذا؟!!

الدكتور: اللهجة التي قيلت بها الكلمات تدل على أن قائلها هم غربيون.

ليفني: و هل تستطيع التفريق بين اللهجات التي يتحدث بها الاسرائيليون؟!!

الدكتور: بالطريقة التي استطيع بها التفريق بين لهجة اهل نابلس و بين لهجة أهل بيت لحم.

ليفني: ماذا فعلت بعد ان غادر المثلثون؟!!

الدكتور: حاولت اسعاف الجرحى، و تهدئة الناس، و حاولت الاتصال بمعارفي من اجل سيارة الاسعاف..

كارل: هل حاولت التحدث الى سكان كفار صقر..أو هل جاؤوا للمساعدة!؟

الدكتور: اطلاقاً،و على الرغم من ان الحادث وقع في قلب المستوطنة الا ان أحداً لم يهب للمساعدة أبداً.

ليفى: هل تعتقد ان ذلك كان رداً على عملية القتل البشعة التي نفذها فلسطيني بحق عائلة كاملة في مستوطنة أخرى قريبة من نابلس.

الدكتور: بما انك يا سيدي تعجلت بوصف تلك الجريمة البشعة،فإنني اسمح لنفسى أن أقول أيضاً ان الجريمة البشعة التي وقعت امام ناظري ارتكبت بتعمد و ترصد و دم بارد.

ليفى: هل تعرف ان سائق الباص كان متورطاً في تجارة السيارات المسروقة و المخدرات و الأسلحة.

الدكتور: ما اعرفه من خلال ما يتحدث به ابناء قريتي أن رئيس المستوطنة كلاين ساندلر هو من يأتي بالسيارات المسروقة لبيعها لأبناء القرية.

ليفى: و لكن..ألم يكن هناك و سيط لهذه العملية!؟

كارل: لدينا تقارير تقول أن سائق الباص متورط بهذا النوع من النشاطات، و أن الحادث قد يكون تصفية حسابات بين افراد عصابة واحدة.

الدكتور: و لكن سائق الباص لم يقتل في حينه، و انما قتل في زنازين المخابرات الاسرائيلية!؟

ليفى: ذكرت التقارير أنه قتل بيد سجناء محليين..و هو يؤكد فرضية تصفية الحسابات.

الدكتور: و لكن ظروف الحادث، ما قبله و ما بعده، تقول ان الحادث يهدف الى أكبر من مجرد تصفية الحسابات..انه يهدف الى تصفية الوجود الفلسطيني.

كارل: نرجو يا سيد عزيز ان تلتزم بالوقائع، و لا داعي للتعميم.

الدكتور(بما يشبه الضيق): اذن، دعونا نركز على الحادث!!

ليفى: نحن نتقصى الحقائق كلها يا سيد عزيز..

كارل: لقد قلت ان المثلثين غادروا بعد اطلاق النار في أقل من دقيقة..هل تعرف الى أي اتجاه ذهبوا !!

الدكتور: لا أعرف، كنت منبطحاً على أرضية الباص.

كارل: من كان اول القادمين الى مكان الحادث ؟!

الدكتور: أوري، مسئول أمن المستوطنة، حضر بعد اكثر من عشرين دقيقة..

ليفى: ما مدى معرفتك بمسئول المستوطنة..

الدكتور: كل القرى العربية المحيطة تعرف اوري، فهو يطاردهم في التلال و الجبال و الطرق البعيدة. و هو يمنعهم من قطف الزيتون و حراثة الأرض أول الشتاء، و هو ..

ليفى: سألتك عن نفسك، ما مدى معرفتك بالسيد أوري ..

الدكتور: لقد ضربني شخصياً ذات مرة في حقلي.. كنت مع عائلتي أقطف حقل الزيتون القريب من المستوطنة و اذ به يهجم عليّ مع بعض من زعرانه. حاول سرقة الزيتون الذي جمعناه، رفضنا..وقاومنا..ضربني و كسر نظارتي.. و من ثم اجبرنا على الرحيل..

(بينما يتحدث..ننزل الستارة)

المشهد العشرين

« الساحة العامة في قرية كفر صقر، يقف رئيس المجلس القروي أبو سليمان و باقي الأعضاء، ابو عيسى و أبو خالد و أبو محمد، حولهم لافتات كتب عليها «لا لتقرير ليفي» و «تقرير ليفي تكريس للاستيطان». و شعارات اخرى، و يقف الى جانب ذلك عدد قليل من الجمهور الذي يحمل اعلاماً فصائلية و وطنية، يبدو على الجميع قلة الحماس، أبو سليمان يتحدث في الهاتف المحمول، بينما نرى اعضاء المجلس يتابعون الحوار بقلق بالغ..»

أبو سليمان(بنفاذ الصبر): يا أستاذ محمود..يا أستاذ محمود..اسمعي قليلاً.. نعم..نعم..القرية لم تستجب للمسيرة..نعم..كل الموجودين لا يتجاوزون العشرين او الثلاثين، يا أستاذ محمود..فعلت كل ما يجب، أعلنت في المسجد يوم الجمعة.. و أعلنت ذلك من خلال مكبرات الصوت.. لا احد يريد ان يشارك في المسيرة..يا أستاذ محمود..أرجوك..أنا اتحدث معك باحترام.. نعم يا سيدي..انتم افسدتم الجمهور..احترم نفسك انت..انا اتحدث معك باحترام..ماذا أقول..الجمهور صار يعرف الكثير و يرغب في المحاسبة. اسمح لي أنت..هل تريد مسيرة جماهيرية اذن ابعث جمهورك..هذا ما عندي. نعم..نعم..ليتحدث معي الوزير.. و هل انا مجرم أو مطلوب..(ينتظر أبو سليمان قليلاً و هو في قمة انفعاله..ثم يواصل)..نعم معالي الوزير..نعم معالي الوزير..ما أريد أن أقوله يا معالي الوزير ان الأخ محمود يعتقد أن أهل القرية كما كانوا ايام زمان..الوضع تغير..تغير جداً..نعم نعم معالي

الوزير.. اذا كنتم تريدون موقفاً جماهيرياً ضد تقرير ليفي.. فإن.. فإن الوضع سيء.. نعم معالي الوزير.. اتمنى لو تبعثوا بباص أو اثنين أو ثلاثة للمشاركة.. مع متضامين اجانب.. ليكن.. نعم.. متضامين أجنب و يهود.. لا يهم.. المهم الحضور و المشاركة و الصورة.. نعم الصورة التلفزيونية مهمة يا معالي الوزير.. بارك الله فيكم.

(يغلق الهاتف المحمول و يضعه في جيب جلدي معلق الى خصره، ثم ينفخ بقوة)

أبو عيسى: آ يا أبو سليمان، هذا الوزير اذن ؟!

أبو سليمان: نعم.. الوزير يا سيدي.. يريدون موقفاً شعبياً ضد تقرير ليفي و كأن الجمهور رهن اشارتهم.. افسدوا الجمهور ثم يطالبونه الآن بدفع فاتورة المقاومة.. هذا لا يطاق.. الاستاذ محمود يريد مني ان أخرج أهل القرية بالقوة.. لقد اتهمهم بقلعة الناموس..

أبو خالد: ماذا كان اتفاقك مع الوزير اذن.

أبو سليمان: قال بأنه سيعث جمهوراً من عنده..

أبو خالد: سمعتك تقول متضامين اجانب و يهود..

أبو سليمان: هذا ما قاله الوزير.. أنه سيكون اجانب و يهود مع القادمين.

أبو محمد: و الله عشنا و شفنا العجب.. اليهودي يسبقك في النضال من أجل حقوقك.. عجيبة.. يصادر و من ثم يدافع عنك.. ليست عجيبة هذه..

(يلتفت أبو محمد الى المجتمعين القلائل و يصيح بهم)

أبو محمد: يللا يا شباب.. أين حماس.. حماس.. حماس (يبدو انه يفتن الى شيء ما، يتوقف قليلاً) هاهاها.. حماس.. كيف يمكننا أن ننظم مسيرة او مظاهرة بدون حماس.. هاهاها

(يضحك الجميع)

أبو خالد: أبو محمد.. أرجوك أهدأ.. الوضع لا يحتمل.

أبو محمد: و هل انا الذي يحتمل، اذا كنا لا نستطيع اكمال نصاب مظاهرة الا بحضور الاجانب و اليهود، فأني وضع يحتمل.. ها.. قل لي بالله عليك.

أبو سليمان: لقد فعلنا ما نستطيع ان نفعله.. لا أشعر بالذنب يا جماعة.. أبو عيسى: كلنا مذنبون.

أبو سليمان: رحمة الله عليك يا أبو الوليد، لقد تركنا و مات على سياج المستوطنة، كان شعوره بالذنب أعظم منا جميعاً.

أبو خالد: ماذا يمكن ان نفعل بعد ان شرحنا لكل اهالي البلدة مضمون تقرير هذا الجرم.. لقد قلنا لهم بالحرف الواحد ان التقرير يبرئ المستوطنين من الجريمة، و ان دماء ابنائكم ذهبت هدراً بلا أدنى تعويض أو حتى احساس بالمسؤولية، و أن الجريمة البشعة كانت بسبب تصفيات في العالم السفلي، و ان التوصية النهائية هي انشاء اوضاع كفيلة بالفصل بين الجماعات السكانية.. جماعات سكانية.. و الله لغة بنت كلب.. كيف يخترعون هذه اللغة يا أبو سليمان.

أبو سليمان: لعنة الله عليهم و على لغتهم.. يا رجل.. هذا ليس تقريراً، هذا عملياً نصيحة سياسية و امنية و قانونية لضياع الحقوق و الأرض.

أبو محمد: فلماذا لا يخرج الناس معنا.. ثم.. بالله عليكم.. أين التنظيمات الثورية في القرية؟! هؤلاء الذين تراهم عند الاشتباكات العائلية و الوظائف و المساعدات؟!!

أبو سليمان: لا تسألوني ارجوكم.. لا ينقصني وجع دماغ.. يكفيني ما أنا فيه..

(يتقدم احد الفتية يحمل علم فلسطين، يقترب من أبي سليمان)

الفتى: عمي أبو سليمان.. الى متى ننتظر؟!!

أبو سليمان: انتظر قليلاً يا محمد!!

الفتى: ماذا ننتظر أصلاً؟!!

أبو سليمان: ننتظر متضامنين اجانب سيأتون من رام الله.. هكذا قال الوزير.

أبو عيسى: محمد.. هل سمعت عن والدك الدكتور عزيز شيئاً بعد اعتقاله.

الفتى: قال لنا المحامي أنه في سجن عوفر..

أبو سليمان: سبحان الله.. بعد ان أدلى الدكتور عزيز بشهادته أصبح خطراً على أمن اسرائيل.

أبو عيسى: اسرائيل قد تعتقل العصافير يوماً اعتقالاً إدارياً لأنها تقطع الحواجز العسكرية بدون اذن..

الفتى: عمي أبو سليمان.. هل سنتنظر كثيراً.. نحن قبيل الظهر.

أبو سليمان: اصبر يا عمي اصبر.. هل تريد ان نتظاهر أمام المستوطنة بعشرين فرداً.. اصبر..

(تتغير الاضاء بما يوحي بتقدم الزمن.. ثم نسمع أصوات حافلات وضجيج قادمين.. تدخل المسرح مجموعات من المتضامنين الأجانب والإسرائيليون وكثير من الصحفيين يحملون كاميرات تلفزيونية.. يتقدمهم شخص يحمل مكبراً للصوت.. تتحرك مجموعة أبو سليمان، يتقدمون و يحملون اللافتات و يقتربون.. يتقدم محمود من أبي سليمان.. يسلم عليه هذا بدون حرارة و لا اهتمام.)

أبو سليمان: لقد تأخرتم كثيراً..

محمود: كان من الصعوبة تجميع هذا العدد بوقت قليل.

أبو سليمان: اذن.. لننطلق الى المستوطنة.. لم يعد هناك وقت.. لقد اذن الظهر.. قبل نصف ساعة.

(محمود يتناول مكبر الصوت من الشخص الذي يحمله، يتوجه الى المشاركين)

محمود: الرجاء الانتباه.. الآن سنتوجه الى المستوطنة مشياً على الأقدام، و على الجميع الالتزام بما يلي: أولاً: الحفاظ على سلمية المظاهرة حتى نعطي العالم صورة مختلفة عن النضال الفلسطيني، ثانياً: عدم استفزاز المستوطنين او الجنود بأي طريقة من الطرق، يعني لا حجارة و لا شعارات مستفزة حتى ولو أطلقوا الرصاص أو ألغاز، ثالثاً: حماية حياة المتضامنين الأجانب والأخوة

اليهود الذين جاؤوا للتضامن معنا..ومعي هنا الأخت اورانيت وهي ابنة ليفي
نفسه لتقول لكم انها ضد التقرير الذي كتبه والدها.. أن مجرد مشاركتها معنا
لهو انتصار لقضيتنا.

(تأخذ أورانيت مكبر الصوت من محمود و تتجه الى المشاركين بعربية
ركيكة)

اوريت: أنا معكم..انا ضد تقرير ليفي..انا ضد الاستيطان..و الرجاء
الحفاظ على سلمية المظاهرة..

(يصفق لها الجميع)

(يتناول محمود مكبر الصوت ويقول)

محمود: الرجاء رفع اللافتات باللغات الثلاثة، ورفع علم فلسطين وحده..
و على بركة الله.

(تنظم المظاهرة، ترفع اللافتات و ترفع الاعلام كلها دون إلتفات
لما قاله محمود..ينطلق احدهم بشعارات باللغة الانكليزية..يتعثر
المشاركون في إعادتها.. و لكن المتظاهر أصر على تكرارها..أبو
سليمان و أبو عيسى و ابو خالد و أبو محمد في مقدمة المسرح..)
أبو محمد: ما هذه المظاهرة المعقمة..

أبو خالد: حتى المظاهرة ممولة من المنظمات غير الحكومية..

أبو سليمان: أرجوكم ان توفروا سخرتكم ليوم آخر.. المهم هناك مظاهرة
و هي مصورة و سيرها العالم كله.. و سيرى أن الجنود الإسرائيليين يشبهون

الشرطة في السويد.. أرجوكم اهدأوا.

أبو محمد: حتى ابنة ليفي ضده.. نحن نفوز بالعطف والبكاء أما هم فيفوزون بالأرض.

(يتقدم الفتى ابن الدكتور عزيز، وهو يحمل العلم الفلسطيني من المجموعة)

الفتى: عمي أبو سليمان.. انا لن أشارك في هذه المظاهرة.. لا أنا و لا مجموعتي.

أبو سليمان: ماذا ستفعل اذن يا محمد؟!

الفتى: عندي خطة افضل.. أرجوكم أن تسلم على أمي.. و على كل القرية..

(يدور على نفسه بطريقة استعراضية فيها فخر و كبرياء، يدور معه فتیان آخرون.. تضحج موسيقى تاخذ القلب.. ستار)

obeikandi.com